(Arab)
DT83
.xS22
juz'1

(Arab)DT83.xS22 juz' 1
(Safwat tarikh Misr wa-al-duwal
al-'Arabiyah)

DATE	ISSUED TO

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 073527796

صفوة
تاريخ مصر
والدول العربية

الجزء الأول

تأليف

الميجر سفدج — سليم حسن افندى
الشيخ احمد الاسكندرى — عمر الاسكندرى افندى

قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب بمدارسها الابتدائية

« الطبعة السابعة »

١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥ م

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين »

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

Safwat tārikh Miṣr wa-al-duwa
احمد زكي ابو شادي

صفوة
تاريخ مصر
والدول العربية

الجزء الأول

تأليف

الميجر سڤدج — سليم حسن افندى
الشيخ احمد الاسكندرى — عمر الاسكندرى افندى

قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب بمدارسها الابتدائية

« الطبعة السابعة »

١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥ م

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين »

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

(Arab)
DT83
.x522
juz' 1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله بارئِ النَّسَم، ومُجْزِل النِّعم، والصلاةُ والسلام على محمدٍ المُرسَل الى العرب والعَجَم، وعلى آلهِ وأصحابهِ هُداةِ الأُمم

أمَّا بعدُ فإنَّا قد رأينا المدارسَ الابتدائية المصرية فى حاجة الى كتاب موجَز سهل المأخذ، يُبَيِّنُ أشهرَ وقائع التاريخ المصرىّ القديم والحديث، ويُشير إلى أهَمّ الحوادث فى نشأة الأُمَّة العربية وتقلُّبها، ويذكرُ سِيَرَ بعضِ الأنبياء الكرام، الذين أَلَمَّتْ سِيَرُهم بتاريخ مصرَ بعضَ الإلمام.

فوضعنا هذا الكتاب وافيًا بهذه الأغراض فى جزأين صغيرين؛ يشتمل الأول (وهو هذا) على مُقَرَّر مِنهاج التاريخ الدراسى لتلاميذ السنة الثالثة من المدارس الابتدائية، ويشتمل الثانى على مقرر السنة الرابعة وأسميناه «صفوة تاريخ مصر والدول العربية». واللهَ نسألُ أن يُوَفِّقَنا لِخدمة العلم والبلاد، إنَّهُ وَلِىُّ السَّداد ما

وحرر بالقاهرة فى { ٤ شوال سنة ١٣٣٧ هـ
{ ٢ يوليه سنة ١٩١٩ م

مقدمة

١ — ﴿ التاريخ والغرض منه وأقسامه ﴾

تعريف التاريخ

التاريخ علمٌ يعرّفنا أخبارَ الأممِ الماضية وأحوالَ معيشتها، وأسبابَ تقدُّمِها وانحطاطها

فوائده

ولذلك كان من أجلّ العلوم وأكثرها فائدةً إذْ بمعرفتنا هذه الأخبار يمكننُا الاقتداءُ بتلك الأمم فى الأمور التى أدّت إلى ارتقائها كالشجاعة وحب العمل والاتحاد وغير ذلك من الصفات الحميدة . كذلك يمكننُا اجتنابُ ما فعلوه من الأمور التى أدّت الى انحطاطهم وسقوطهم : مثل الجبن والميل الى الكسل ، واهتمامِ كلِّ شخص بمنفعته الخاصة دونَ الاهتمام بمصلحة الوطن الذى يعيش فيه ، وغير ذلك من الصفات الدنيئة

أنواعه

والتاريخ أنواعٌ : فمنهُ ما هو تاريخُ أمةٍ واحدة ، مثل تاريخ مصر ، والأمةِ العربية ، وتاريخ انجلترة . ومنهُ ما هو تاريخ فردٍ كسيرة النبى صلى الله عليهِ وسلم واخبارِ صلاح الدين الأيوبى ، ومحمد على باشا ، وتاريخ الإسكندر المقدونى . وتاريخ نابليون . ومنهُ ما هو تاريخ بلدٍ ، كتاريخ دِمَشْقَ ، وتاريخ القاهرة ، ومنهُ

التاريخ العامّ ، ويبحث عن أخبار الدنيا عامة منذ سكنها الإنسان واخبار الأمم التى نشأت فيها ، وعلاقةِ بعضها ببعض

التاريخ العام

والتاريخ العامُّ طويلٌ جداً لا يكاد يُعرَفُ له مبدأ ، منهُ جزءٌ مجهولٌ غامض ، أخبارُهُ غيرُ موثوقٍ بها ؛ ويمتدُّ من بدء الخليقة إلى وقت ظهور الأمم القديمة التى وصلت أخبارُها الينا : مثل قدماء المصريين . ومنهُ جزءٌ معروف ؛ وهو ينقسم إلى ثلاثةِ أقسام : قديمٍ ومتوسطٍ وحديث

التاريخ القديم والمتوسط والحديث

فالتاريخ القديمُ هو تاريخُ الأمم القديمةِ التى وصلت أخبارُها الينا : مثل قدماء المصريين ، وتاريخ قدماء الصين والهند واليُونان والرومان — والتاريخ المتوسط يبتدىء من سُقوط تلك الأمم ، ويمتدُّ إلى ظهور الأمم الأوربية الحديثة وذلك بعد ميلاد المسيح عليهِ السلام بنحو ١٥٠٠ سنة ، أى منذ ٤٠٠ سنة تقريباً — والتاريخ الحديث يبتدىء من ذلك الحين ويمتد الى الوقت الحاضر

تاريخ الحوادث

وقد اعتاد الناسُ أن يؤرّخوا حوادثهم بحادثٍ عظيم مشهور عندهم . فمثلاً يقول عامة المصريين : حدث هذا الأمرُ بعد ست سنين مثلاً من الثورة العرابية . وكانت قُرَيْش تؤرّخ بعام الفيل : وهو عام حدث لها فيهِ حادث عظيم عامَ

ميلاد النبي عليهِ الصلاة والسلام : وهو مجيء الحبشة لهدم الكعْبة . وأشهرُ التواريخ التى تؤرَّخُ بها حوادث التاريخ العامّ الآن الهجرةُ والميلاد : فالهجرةُ هى هجرةُ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرَّمة إلى المدينة المنوَّرة ، والميلاد هو مَوْلِد سيدنا عيسى عليهِ السلام

الهجرة والميلاد

٢ — ﴿ قِدَمُ تاريخ مصر ﴾

قلنا إن تاريخَ الدنيا منذُ سكنها الإنسانُ قديمٌ جدًّا لا يُعرَفُ له مبدأ . ولم تكن الأرض كلها فى أوَّل أمرها عامرةً بالسكان ، بل كان منها أجزاء واسعة خالية من الجنس الإنسانى ، وأخرى لم يرتقِ أهلُها كثيراً فى معيشتهم ومداركهم عن الحيوان الأعجَم

الارض فى قديم الزمان

وبلادنا المصريةُ من أقدم بقاع الأرض عُمراناً ، لا يكاد يعادلُها فى قِدَم تاريخها مملكةٌ من الممالك الكثيرة التى نراها الآن ؛ فقد كان يسكُنها منذ أزمانٍ بعيدةٍ جدًّا قوم راقون فى معيشتهم ومعارفهم ، ظَلُّوا قابضين عَلَى أزمّة مُلكها ، سابقين غيرَهم من الأمم فى مضمار الرُّقى والحضارة آلافاً من السنين ، وتُسَمَّى أيامُهم فى تاريخ مِصر « عهدَ قدماء المصريين » أو عهْدَ

مصر من أقدم البلاد

الفراعنة

« الفراعنة » : لأن كل مَلِكٍ من ملوكِهم كان يطلق عليهِ لَقبُ « فِرْعَونَ » . ولقد يَعجبُ الانسان كيف وصلنا الى معرفة تاريخهم مع شدَّة بُعدِ عهدهم ، فإليك بيانَ ذلك :

٣ — ﴿ مصادرُ تاريخ قدماء المصريين ﴾

مصادر التاريخ

تاريخُ قدماء المصريين كغيرهم من الأمم القديمة مستَمَدٌّ من ثلاثة مصادر : الأوَّل الكتبُ السماويَّةُ مثلُ القرآن

الكتب السماوية

والتَّوراة؛ فقد وردفيهما كثيرٌ من أنباء سادتنا ابراهيمَ ويوسف وموسى عليهم السلام ، وغيرُ ذلك من أخبار مصر

الآثار

والمصدرُ الثانى — الآثارُ المصريةُ القديمةُ : مثل المبانى العظيمة والحُلِيِّ البديعة والجُثث المحنطة القديمة العهدِ ؛ فإنها تدل عَلَى مقدار نبوغ قدماء المصريين فى العلوم والفنون كالهندسة والصياغة والكيمياء العمليّ . وعلاوة على ذلك فإنهم دوَّنوا بالنقوش التى على آثارهم كثيراً من حوادثهم العظيمة ، مع بيان عصورها وأسماء الملوك الذين حكَمُوا فى تلك العصور

كتب الاقدمين

والمصدر الثالث — ما كتبهُ الأقدمون فى تاريخ مصر . مثل الكتاب الذى وضعهُ الكاهنُ المصرىُّ « مانِيتونُ »

حوالَىْ سنة ٢٦٣ ق . م[١] . ومثل كتب « هِيرودوت » وغيره من مؤرِّخى قُدَماءِ اليونان[٢]

٤ — ﴿ أطوار تاريخ مصر ﴾

أوضحْنا كيف استطعنا الوقوفَ على كثير من تاريخ مصرَ فى أيامها الغابرة ، ويجملُ بنا قبل دراسةِ تلك الحوادث البعيدةِ العهدِ أن نُلِمَّ إجمالاً بأهمّ الأطوارِ التاريخيةِ التى تقلّبت فيها البلاد منذ نشأتها الى ابتداء تاريخها الحديث

عهد الفراعنة

وذلك أن أقدم عهدٍ لتاريخ مِصرَ هو عهد الفراعنة أو قدماء المصريين . ويبتدئُ قبل الميلاد المَسيحى بعدّةِ آلاف من السنين . وينتهى سنة ٣٤٠ ق. م ، عند ما استولى الفُرسُ على مِصرَ (لِثالث مرةٍ) وسقط آخرُ مَلِكٍ من ملوك الفراعنة

السكان

الاسكندر

ثم لَبِثَ الفُرْسُ فى مصر حتى انتزعها منهم الإسكندرُ المَقْدونىُّ سنة ٣٣٢ ق . م . وبعد وَفاةِ ذلك القائد العظيم اقتسم قوّادُه أملاكه ، فكانت مصرُ نصيبَ أحدهم المدعوّ

---

(١) ينطق بها « قبل الميلاد » أى الميلاد المسيحى

(٢) كان ببلاد اليونان حضارة عظيمة فى قديم الزمان ، ولكننا لا نعرف من تاريخها شيئا باليقين قبل سنة ٦٠٠ ق . م أى قرب انتهاء أيام الفراعنة . وكثيراً ما نسمى قدماء اليونان « الإغريق » للتفرقة بينهم وبين يونان اليوم

البطالسة « بَطْليموسَ الأولَ » فأسس بها دولةً عظيمةً مستقلةً تُعرَفُ بدولة « البطالسة » وبقِيَتْ حاكمةً لمصرَ الى أن اُستولى عليها الرومانُ عامَ ٣٠ ق . م .

الرومان ثم بقيت مصرُ وِلايةً رُومانيةً نحو ٦٧٠ سنة ، الى أن

العرب فتحها العربُ على يد القائد العظيم عَمْرِو بن العاص عامَ ٦٤٠م

مصر مستقلة (٢١ هـ) وهو مبدأُ عهد الدُّول الإسلامية بمصر . ثم اُستقلت

العصر العثماني بذاتها وَبقيت من أعظم ممالك الإسلام المستقلة الى أن فتحها الترك العثمانيون سنة ١٥١٧ م (٩٢٢ هـ) ، وهو فاتحة تاريخ مصر الحديث

الباب الأول

تاريخ قدماء المصريين

الفرس الاصليون

تدل الآثار المصرية على أن الجنس البشرى سكن مصر منذ أزمان بعيدة جدًا ، وأن أهلها بلغوا من الرقى درجة لا بأس بها قبل الميلاد بما لا يقل عن ٧٠٠٠ سنة .

الساميون الفاتحون

ثم ورد على مصر قوم ساميون* من آسيا ، ففتحوها واستوطنوا الوجه القبلى . وقد كانوا أكثر رقيا وتحضرًا من السكان الأصليين فعلموهم فنونًا كثيرة لم يكونوا يعرفونها من قبل : مثل فن التحنيط ومثل الكتابة المصرية القديمة المسماة بالكتابة الفرعونية (الهيروغليفية) . ومنذ دخولهم درجت مصر فى طريق الرقى شيئًا فشيئًا

توحيد أجزاء مصر على يد مينا

وكانت مصر فى أول عهدها تشمل عدة ممالك صغيرة مستقل بعضها عن بعض . ثم تكونت منها فيما بعد مملكتان عظيمتان : الأولى فى الوجه القبلى ، والثانية فى الوجه البحرى ثم ظهر من الوجه القبلى رجل عظيم يسمى « مينا » من نسل

---

* أى من ذرية سام بن نوح عليه السلام

القوم الفاتحين الذين سبق ذكرُهم ، فضمَّ بعض الإقليمين الى بعض وجعلهما مملكةً واحدةً تحت سلطانه . ولسْنا نعرِفُ بالِيقين السنة التى حدثَ فيها هذا الأمرُ الخطيرُ ، لشدّة قِدَمِ عهده ، ولكنَّ كبارَ المؤرّخين قدَّروا له تاريخاً بطريق الاستنباط والاستعانة بالحوادث المعروفة التى حدثت بَعدَه بقرون . ويُستخلَصُ من أشهر آرائهم أنهُ حدث قبل الميلاد المسيحى بنحو ٣٤٠٠ سنة على الأقل . وهذا هو مبدأُ العصرِ التاريخى لمصر الذى يكادُ أكثرُ أخباره يكون معروفاً باليقين

تاريخ ذلك الحادث

وقد اصطلح المؤرخون عَلَى تقسيم تاريخ الملوك من أوّل « مينا » الى انتهاء أيام الفراعنة الى ٣٠ أُسرة ، وقسموا تلك الأسُرَاتِ الى ثلاث طبَقات ، تُعرَفُ بالدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة . والآن نتكلم على كل من هذه الطبقات فنقول

الثلاثون أسرة

الثلاث الطبقات

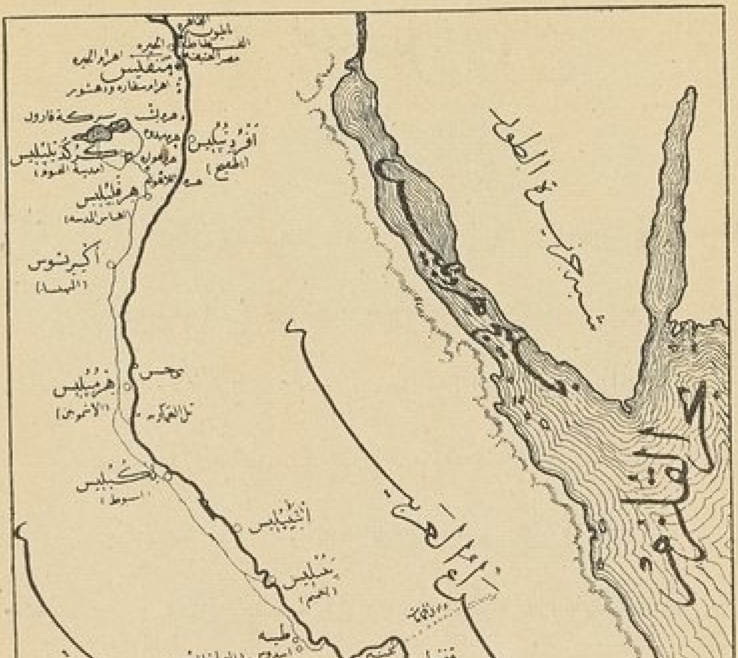

مُصوّر لبيان أشهر المواضع التاريخية فى الوجه القبلى

الفصل الأول

الدولة القديمة

عظم شأن مينا

كان «مينا» فى أوّل أمره ملِكاً على مصر العُلْيا وحدَها (الصعيد)، وكان رجلاً شُجاعاً حسَنَ السياسة، فقبض على جميع أزِمَّة الإقليم الجَنُوبىّ، ثمّ غزا مصرَ السُّفلى (الوجه البحرى) وضمّها الى مُلكه، فكوَّن من الاثنتين مملكةً مصريةً عظيمة كان هو أوّلَ الفراعنة الذين جلسوا على عرشها

منشؤه

وكان منشؤُه فى مدينة «طينة» (بالقرب من جرجا) فلما رأى أنّ موقعها ليس فى وسط البلاد: بحيثُ لا يسهُلُ جعلُها مركزاً لإدارة مملكتِهِ الجديدة الواسعة — عزَمَ على إنشاء عاصمة جديدة بين الوجهين: البحرى والقبلى. فحوَّلَ مَجرى النيل من سَفْح الجبل الغربى الى مَجراه الحالىّ، وبنى عاصمتَهُ «مَنْفَ» (منفيسَ) فى الفضاء الذى تخلَّف عن ذلك، ولكن مقرّ إدارة البلاد لم ينتقل اليها نهائياً إلاّ فى عهد الأسرة الثالثة. ثم سنّ القوانين ونظّمَ البلادَ، ومات بعد أن حكم طويلاً ودُفن بالقرب من «طينةَ» مَسْقَطِ رأسه

بناء منف

اندماج الوجه البحرى فى القبلى

وبقى الاقليمان من بعده يحكمهما ملكٌ واحد . وكان لكل منهما قبلَ عهده تاجٌ خاص يلبَسُه الملك : فكان للوجه القبلى تاجٌ طويلٌ أبيضُ ، وللوجه البحرى تاجٌ أحمرُ ذو شكل خاصٍّ . فلما انضم الإقليمان أحدهما الى الآخر ، صار الملكُ تارةً يلبَسُ تاجَ الوجه القبلى الأبيضَ ، وأخرى يلبَسُ تاجَ الوجه البحرى الأحمرَ ، وطوراً يلبس تاجاً جمعَ بين الشكلين ، هكذا :

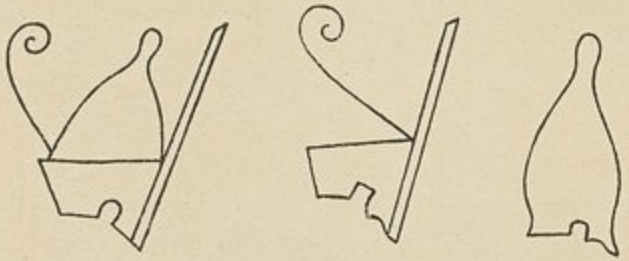

تاج الوجه القبلى الابيض — تاج الوجه البحرى الاحمر — تاج الوجهين

فكان فى تلك المُجَامَلة إرضاءٌ لإقليم الشمال وتسهيلٌ لاندماجه فى إقليم الجنوب الذى هو موطنُ الملوكِ الأصلىُّ

انتهاء الاسرة الاولى

ويُعتَبَرُ « مينا » المؤسسَ للأسرة الأولى من الثلاثين أسرةَ الفرعونيةِ التى تولت حكمَ مصرَ . ولما انقضت أيامُ ذرّيته تولت الملكَ الأسرةُ الثانية وبعدها الثالثة ، وبقيت مصرُ فى أيامهما سالكة طريقَ التقدُّم ، فكثُرَ حفرُ الترعِ

وما شاكلهُ من المنافع العامة ، وأخذت التجارةُ تَنْتشرُ بين مصر وما جاورها من البُلدان : مثل بلاد العرب وشواطئ الشام وجزائر اليونان ؛ وتقدَّم فنُّ الهندسة ، وارتقى نظامُ الحكومة ، وكثر بناء القصور ، وعظُمَ تشييدُ المقابر ، حتى أن «زُوسَرَ» مؤسس الأسرة الثالثة شيَّد بالقرب من «منْفَ» (بجهة سَقَّارة) تُربةً من الحجر على شكل هَرَم مُدَرَّج يقال إنها أقدمُ بناءٍ كبيرٍ مُشَيَّد من الحجر فى العالَم . وتُعرفُ هذه التربة بهرَمِ سقارة المُدَرَّج

زوسر

هرم سقارة

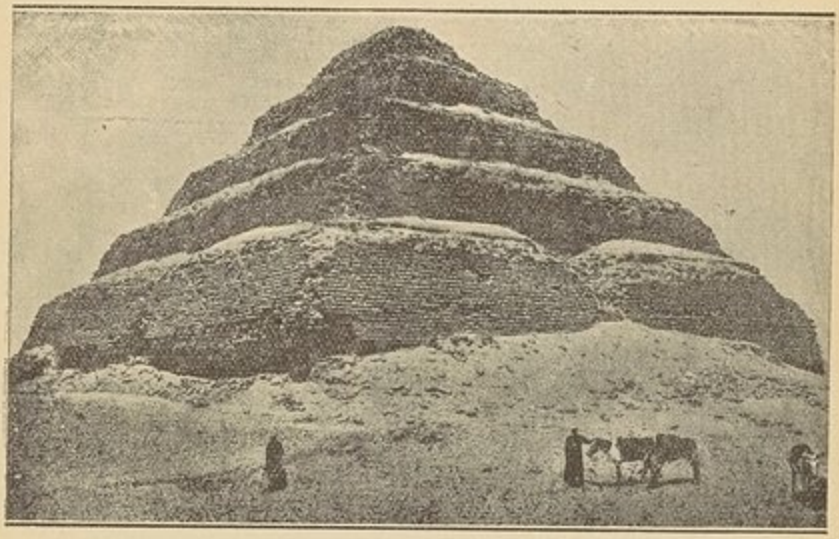

هرم سقارة المدرج

الاهتمام بالمقابر والأهرام

ومن ذلك الحين كثُرَ بناءُ الأهرام، وصار الملوكُ يهتمّون بجعْلها حصينةً، لتحفظَ جُثثَهم بعد الموت من عبث العابثين وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن حفظ الجسم بعد الموت على صورته يُبقى الروحَ متمتعاً بالحياة

***

الأسرةُ الرابعةُ

خوفو

بعد أن انتهت أيامُ الأسرة الثالثة تولى المُلْكَ «خوفو»* مؤسس الأسرة الرابعة التى يُعدُّ عصرُها أزهى عصور الدولة القديمة، وقد ذهب بعضُ المؤرخين الى أنه أزهى عصور الحضارة المصرية بأجمعها. ولا غَرْوَ؛ فإن دقةَ البناء وفخامته، وجمالَ التماثيل وروَعتها فى ذلك العصر دليلٌ ساطعٌ على ارتقاء الحضارة المصرية فيه الى درجة عظيمة

زهاء عصر الاسرة

هرم الجيزة الاكبر

وأعظمُ آثارِ هذه الأسرة هرمُ الجيزة الأكبرُ، الذى شيّده خوفو والذى لم يرَ العالَمُ بناءً أكبرَ منهُ. فإن طولَ كلّ ضِلَع من أضلاع قاعدتهِ يبلغ نحو ٢٣٣ مترٍ (الفِ شِبرٍ) أى أن مُسطَّحَها يزيدُ عَلَى ١٢ فداناً. أما ارتفاع الهرم فكان وقتَ تشييده ١٤٥ مترٍ، ثم تناقص بتهدُّم قمّتهِ فى السنين

---

* وكان يسميه اليونانُ «كيُبْس»

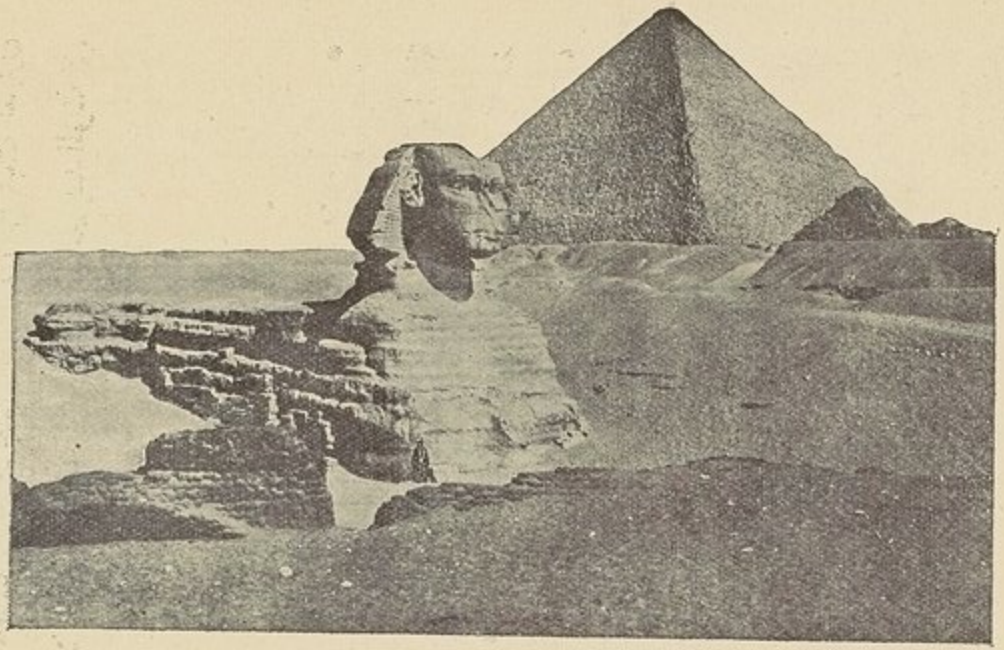

هرم الجيزة الأكبر وأبو الهول

عظم حجمه ودقة صنعه

الطِّوال، حتى صار ١٣٧ متراً، أى إنه يبلغُ نحواً من سبعة أمْثالِ ارتفاع المنازل الشاهقة بمصر. وقَدْ قيل إنه كان يشتغل فى بنائه مائةُ ألفِ عاملٍ، يُسْتَبْدَلُ بهم غيرُهم كلَّ ثلاثةِ أشهرٍ، وإن بناءه استغرق عشرين عاماً. وليست غرابةُ الهرم ناشئةً من عظم حجمه فقط، بل من حيث دقةُ صِناعته أيضاً: فإنها لا تزال تُدْهِشُ أعاظم مُهندسى الوقتِ الحاضر

القصد منه

ولمَّا كان القصدُ من بناءِ الهرم إيجادَ مكانٍ حصينٍ خَفِيٍّ يُوضَع فيهِ تابوت الملك بعد مماته، جُعِلَتْ فيهِ أسرابٌ خفية زَلِقة صعبة الوُلُوج، حتى لا يستطيعَ أحدٌ الوُصولَ الى المُخْدَع الذى فيهِ التابوت

زهاء عمر خوفو

ومع أننا لم يصلنا شىءٌ كثيرٌ من أخبار «خوفو» ومُلْكه الزاهر غير بنائه لهذا الهرم العجيب، يسهُل علينا أن نُدرِكَ مقدارَ نظامِ الحكومة ورَخاء البلاد فى أيامهِ بالتأمل فى الطريقة التى تمَّ بها بناءُ الهرم: إذ ليس من السهل إطعامُ مائة الفِ عاملٍ وإيواؤُهم وتنظيمُ الحركة الهائلة التى كانت عندَ مقاطع الأحجار بحيث لا ينشأ عنها عُطلةٌ فى البناء

ونورد هنا شكلاً مشروحاً ببيان مشتملات الهرم الاكبر

من الداخل : ليرجعَ اليهِ التلميذُ المجتهدُ إذا أراد الوقوف على تلك المشتملات

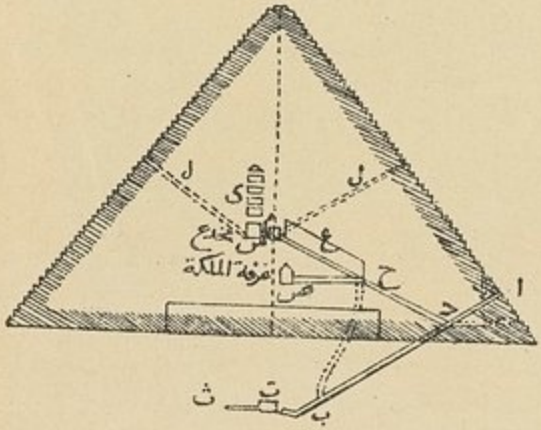

(بناء الهرم الأكبر من الداخل)

ا : المدخل — ادب زلاقة الى أسفل ، منها اد مفرغ فى بناء الهرم والباق مفرغ فى الصخر — ت : حجرة تحت الارض — ث : سرب أفقى — د ح س : زلاقة صاعدة — ع ابواد مرتفع على يمين الزلاقة — س : دكة — م : ممر من الدكة الى مخدع الملك — ح ص : سرب أفقى موصل الى الحجرة المعروفة الان بغرفة الملكة — ل ، ل ممراذ لدخول الهواء — ى : خمس غرف صغيرة أفرغت فى البناء فوق مخدع الملك لتخفيف الثقل عن سقفه — ح ب : بئر

خفرع

وبعد أن تُوفى خوفو خلَفه « خَفْرَعُ » فشيد هرمَ الجيزة الثانىَ أو الأوسطَ ، وهو أصغرُ قليلاً من هرم خوفو وأقل جَوْدةً فى صناعته

منقرع

وخلَفَ خفرَعَ على الملْكِ « منَقْرَعُ » مشيدُ هرم الجيزة

نيتوكريس

الأصغر. ومات قبل أن يُتمَّه، فاتمته الملكة «نيتوكريسُ» من ملوك الأسرة السادسة

أبو الهول

ومن الآثار المصرية العجيبة أثرٌ قريبٌ من أهرام الجيزة يسمَّى «أبا الهول» لا يُعلم صانعهُ يقيناً، وإنما الأرجح أنهُ عُمل فى زمن الأسْرَة الرابعة أيضاً: وهو تمثال هائل منقورٌ فى الصخر الطبيعى، وجههُ وجهُ إنْسَانٍ وجسمهُ جسمُ أسد ارتفاعه نحو ٢٠ متراً، وطوله نحو ٤٦ متراً. ولم يُعلم الغرضُ الحقيقىُّ من صُنعهِ الى الآنَ

«معبد» أبى الهول

وبجوار أبى الهوْل بناءٌ من الحجر المانع المُحبَّب (الجرانيت) يُسَمَّى «مَعبدَ أبى الهول» لم يُثبتْ علماء الآثار بعدُ أنهُ معبدٌ أو أن له علاقةً بأبى الهَوْل

سقوط الاسرة الرابعة

وفى أواخِر أيام الأسرة الرابعة ضعُفتْ شوكَةُ الملوك وزادتْ سُلطةُ الكَهنة زيادة عظيمة، حتى صاروا أصحاب الحلِّ والعقد فى الدولة، وانتهى أمرهم بأن أسقطوا الأسرةَ الرابعة وأسسوا أسرةً جديدةً: هى الخامسة

عهد الاسرة الخامسة

وفى عهد هذه الأسرة حافظتْ مصرُ على ينابيع ثروتها وامتدَّت تجارتها الى شواطئ الشام وخليج عَدَن، ووطَّدَتْ سلطانَها فى الجنوب الى الجنادل الأولى (الشلال الأوّل).

آثار الاسرة الخامسة

وقد تركت هذه الأسرة مقابرَ عِدَّةً عَلَى غايةٍ من الإبداع فى النقش : بعضُها بمنفَ وبعضُها فى جهات شتَّى فى الوجه القبلى . وآخرُ أهرامها هرمُ الملك « أوناسَ » بسقارةَ : وهو منقوشٌ من الداخل بالألوان الثابتة . وتختلف أهرامُ الأسرة الرابعة عن أهرام هذه الأسرة بأن الأولى لم تكن عَظَمَتُها بجمال نقشها ، بل بضخامةِ أحجارها ودقة صُنعها

قوة حكام الاقاليم

ولما كان الفضلُ فى تأسيس هذه الأسرة راجعاً الى الكهنة كان ملوكها أضعفَ ممن قبلهم ، فانتهز حكامُ الأقاليم ورؤساء الحكومة هذه الفرصة لجمع السلطة فى أيديهم شيئاً فشيئاً ، حتى كان كلُّ حاكم يزدادُ فى القوة على سلفه

الاسرة السادسة

وفى أيام الأسرة السادسة حافظتْ مصر أيضاً على حضارتها ، غيرأن استقلالَ حُكّام الأقاليم زاد فى عهدها فصاروا يُعرفون « بالأمراء العظام » ، وأصبح كلٌّ منهم يُدْفَنُ بموطنه بعد أن كانت قبورُهم تكتنف قبرَ مليكهم . ثم بلغت قوة المَلِك منزلة من الضعف أصبح فيها عاجزاً عن ضبطِ وُلاته . ولم تلبث الأسرة السادسة أن انقضت واستقلت الأقاليمُ المصرية المختلفة بتدبير شئونها بنفسها : فبعد أن كانت البلاد فى قبضة ملك واحد اصبح يحكمها عدد من الأمراء يتنازعون الأمر فيما بينهم

ازدياد قوة الامراء

اضطراب الاحوال

فوقعت مصر فى مثل تلك الفوضى التى أنقذها منها « مينا » بعد ان قضت فى بُحْبُوحة المجد نحو الف عام

وقد كان تاريخ العصر الأخير من أيام الأسرة السادسة مُظلماً جداً ، لم يبلغنا شىء واضح من أخباره . ويُفهَم مما تقدم أنه كان عصرَ حروبٍ وفِتَن داخليةٍ طويلة نشأتْ من عظَم نفوذ الأشراف ، وانتهت بسقوط الأسرة السادسة التى تعدّ فى الحقيقة آخرَ الدولة القديمة

انتهاء عهد الدولة القديمة

ثم حكمت مصرَ الأسرة السابعةُ وبعدها الثامنةُ . ولم يصلْنا من أخبارهم سوى أسماء ملوكهم

الفصل الثانى

الدولة الوسطى

نقل العاصمة من منف

قضت الفِتَنُ الداخليةُ على الدولة القديمة بالفناء ، وبزوال الأسرة الثامنة انتهت تلك المدةُ الطويلة التى كانت فيها مَنفُ مَقرًّا للحكومة ، وانتقل سرير الملك فى عهدِ الأسرتين التاسعة والعاشرة الى مدينة تدعى « هِرَقْلوبوليس » جنوبى مدينة الفيوم . وكان ملوكُ هاتين الأسرتين ضعفاء ولم يتركوا وراءهم

ضعف الملوك

الاسرة الحادية عشرة

اثاراً باقيـة تخلد ذكراهم ، وابثتْ سطوة امراء النواحى فى أيامهم على أشدّها

ثم تولت الملْكَ الأسرةُ الحاديةَ عشرةَ ، ولم يحدث فى فى عهدها أيضاً شىء يذكر من الإصلاح . وأهمُّ ما يُعرف عنها أنها نقلت مقر الحكومة الى «طيبة» قرب بلدة الكرنك الحالية

﴿ الأسرة الثانيةَ عشرةَ ﴾

أسس هذه الأسرةَ « أمِنِمْحَعَت الأوّل » بعد حروب طويلة . وكان أمراء الأقاليم قد بلغوا عند ابتداء حكمه مبلغاً عظيماً من الثروة والسلطان ، وصارت لهم قوةٌ يُخشَى بأسُها لا يمكن لملِكٍ قهرُها بالشدة والعنف . وأدرك ذلك «امنمحعت» فخادعهم بالهدايا النفيسة ، ووعدهم الوعودَ الجميلةَ ، حتى استخدمهم فى فتح الفتوح وتنظيم البلاد . وباستيلائهِ عَلَى العرش نقل مقر الحكومة من طيبة الى جهةٍ قريبة من « اللشت » على بعد ٢٥ ميلاً من جنوبىّ « منفَ »

أمنمحعت الاول

زهاء عصر الاسرة

ويُعتَبرُ عصرُ هذهِ الأسرةِ أزهى عصور الدولة الوسطى فكانتْ فيه البلادُ فى أعلى درجات الرَّخاء والسعادة : وفيه أُحْيِيَتْ العلومُ والفنون ، واتسعتْ أملاكُ مِصْرَ فى وادى

النيل، وتقدَّمت الزراعةُ وشُيِّدتِ العمارات

ومن أعظم ملوكها « أسِرْتَسِنُ الأول » ابنُ امنمحعت الأول. وأشهرُ آثاره المخلَّفةِ مِسَلَّةُ عينِ شمسٍ التى ما زالت بتلك الجهة الى الآن. وقد وُجِدَ هَرَمُهُ وهرمُ أبيه بجهة اللشت

اسرتسن الاول

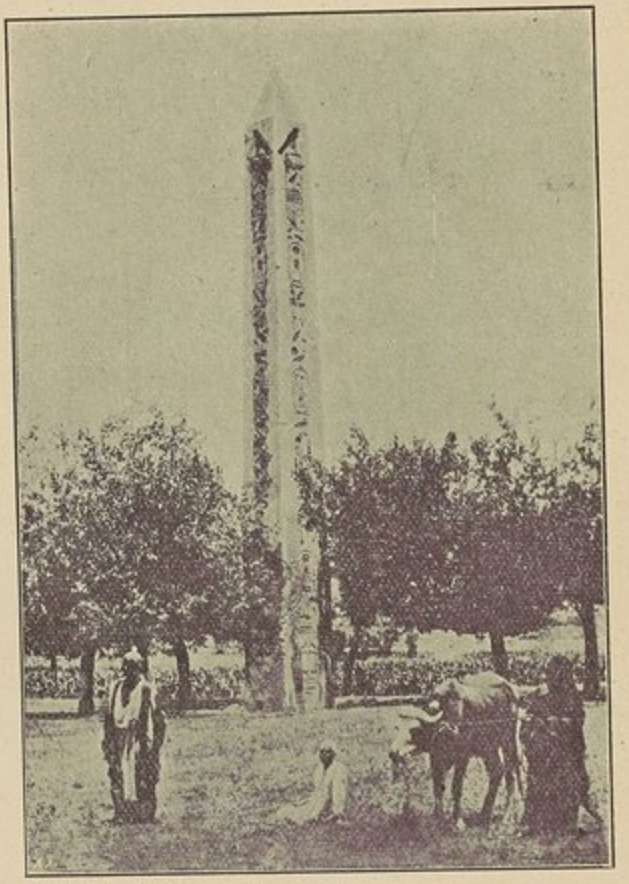

مسلة عين شمس

امنمحت الثالث

وأعظم ملوك هذه الأسرة على الإطلاق هو « امنمحت الثالثُ » . وفى أيامه بلغت الدولةُ الوسطى أقصى درجات

أهم أعماله

مجدها ، وكادتْ تَفْنى فى عهده قوةُ الأشراف . وقد تمّتْ على يَدَيْهِ عدَّةُ أعمال سلمية نافعة زادت كثيراً فى ثروة البلاد ، ففى أيامه نُظّمتْ مناجمُ شِبه جزيرة سيناء ؛ وصارت يَنبوعاً مستمرًّا للثروة ، وأنشئَ بجهة « سِمْنَة » بعد الجنادل الثانية مقياسٌ للنيل يُنبئُ عن حال الفيضان فيُجْبَى الخراج بمقتضاه

بحيرة موريس

وأدرك هذا الملكُ العظيم أن صلاحَ مصرَ متوقفٌ عَلَى تحسين ريها ، فقام بعمل عظيم لخزن مياه الفيضان حتى يُنتفع بها فى أوقات هبوط النيل : فانهُ لما رأى انخفاض إقليم الفيوم عن سطح النيل ، وأن مياهَ الفيضان تغمرُه كلَّ عام فتحوّله الى بُحيرة عظيمة — أقام حولَ جزءٍ منهُ سَدًّا عظيماً ، فصار هذا الجزءُ بمثابة خزان كبير ، ترد اليه المياهُ وقت ارتفاع النيل بواسطة تُرْعةٍ وتخرُج منهُ ايامَ انخفاضه بترعة أخرى فتُروى أراضىَ الوجه البحرىّ . وهذا الخزانُ هو المعروفُ ببحيرة « موريسَ » والترعة الأولى هى المسماةُ الآن بحرَ يوسفَ

قصر لابرنت

وشيّد « امنمحت » على شاطئ هذه الترعة بناءً عجيباً يسمَّى « لابِرَنْتَ » اشتهر فى قديم الزمان ببَداعته ؛ وقال عنه

«هيرودوتُ» المؤرِّخ اليونانيُّ إنهُ كان يحتوى عَلَى ثلاثة آلاف بيت ما بين حُجرة ورَدْهة ، نصفها تحت الأرْض والنصفُ الآخر فوقها ، عدا ثمانية أبْهاء مسقفة متقابلة الأبواب . والظاهر أنهُ كان مقرًّا للحكومة تُدَارُ منهُ أعمال جميع البلاد . ولم يبق منهُ الآن إلَّا بعضُ أحجار بالقرب من هرمِ اللاهُون الذى انشِئَ أيضاً فى عهد هذه الأسرة

تقهقر مصر بعد امنمحت

وبالاختصار كانت أيام امنمحت الثالث أيامَ سعادةٍ ورخاء فى جميع أنحاء البلاد . ولما مات دُفن بدَهْشورَ ، وكأنَّ حظَّ مصر وقتئذٍ قد دُفن معه . فأخذت أحوال البلاد تتقهقرُ بعده تقهقُراً سريعاً ، حتى انتهت أيامُ الأسرة الثانية عشرة بعد أن استمرَّت نحو مائتى سنة

***

الاسرة الثالثة عشرة

ثم تولت الأسرة الثالثةَ عشرةَ فكثر فى عصرها الفتن والشقاقُ بين أُمراء الأقاليم : لتنازُعهم عَلَى تولى المُلْك . لذلك كانت مدة حكم معظم الملوك فى أيام هذه الأسرة قصيرة لا تزيد عَلَى عامين ، ومنهم من حكم ثلاثة أيام فقط

العمالقة

(المسمَّوْنَ الهِكسوسَ أو ملوكَ الرُّعاة)

ولما كانت البلاد على هذه الحال من الشقاق والانقسام، كان من السهل أن تقع غنيمةً باردة فى أيدى الفاتحين من الأجانب. ففى أواخر أيام الأسرة الثالثةَ عشرةَ أغار على مصر قومٌ من آسيا لا يُعرَف الى الآن أصلُ منشئهم يقيناً، ويُعرَفُ هؤلاء الفاتحون «بالهِكسوس» أو «ملوك الرُّعاة»، وهم الذين يُسمَّوْن فى كتب العرب بالعمالقة، ويُنسَبون فيها الى الأصل العربى. ومما قيل فى إطلاق لفظ «الرعاة» عليهم أن المصريين لما تغلبوا عليهم فى آخر الأمر وطردوهم الى بلادهم كانوا يذكرونهم بالاحتقار والازدراء، فلقّبوهم «بالأجناس البربرية» و«بالكَفَرة» و«بالرعاة» أى الذين يرعَوْن الغنم

أصل الهكسوس

فتحهم مصر

ولما دخل «الهكسوسُ» مصرَ أسسوا لهم بلدةً بالوجه البحرى تُدعَى «أواريس» (هَوَّارة)، وجعلوها مقرَّ حكمهم. ولما انقرضت الأسرةُ الثالثةَ عشرةَ وخلفتها الأسرةُ الرابعةَ عشرةَ كان ملوكها مصريين أيضاً، غير أنهم كانوا أشبه بولاة للهكسوس. وبقى نفوذ الهكسوس يزداد عاماً فعاماً حتى

ازدياد نفوذهم

الاسرات التى منهم

أخضعوا جميع البلاد فدفعتْ لهم الجزية. ولما انقصت الاسرةُ الرابعةَ عشرة، قبضوا بأنفسهم على زمام المُلْك؛ ولذلك اعتُبرت الأسراتُ الخامسةَ عشرةَ والسادسةَ عشرةَ والسابعةَ عشرةَ فى تاريخ مصر من هؤلاء الملوك الرعاة

افعالهم فى مصر

وكانوا فى أوَّل أمرهم ظالمين كثيرى الاعتداء على المصريين ولكنهم عدلوا عن ذلك بعدُ، وتَطَبَّعوا بكثير من الطباع المصرية، وشيدوا كثيراً من المعابد والمبانى، ولكن المصريين بعد أن طردوهم من البلاد عبثوا بمعابدهم وآثارهم، وكلُّ أثرٍ لهم لم يمحوه أزالوا منه النقوش والمعالم التى تدل على أنه للهكسوس

سيدنا يوسف

ويُقالُ إن قدومَ سيدنا يوسفَ عليه السلام الى مصر وحُدوثَ ما حدث له كان فى عهد الاسرة السادسةَ عشرةَ. وسنتكلم عَلَى ذلك فى فصل خاص بذكر قِصَص بعض الأنبياء عليهم السلامُ

طرد الهكسوس

وعلى توالى الأيام أخذ ملوكُ الهكسوس فى الاضمحلال فانتهز أُمراء «طيبة» هذه الفرصةَ وحاربوا الهكسوس حتى طردوهم من مصر، وبذلك تكوَّنت الأسرةُ الثامنةَ عشرةَ التى هى مبدأُ الدولة الحديثة

تأثيرهم في مصر

وقد كان لدخول الهكسوس فى مصر وبقائهم فيها مدة تأثير كبير فى المصريين : فالهكسوس هم الذين أدخلوا الخيل فى مصر ومنهم تعلم المصريون الفنون الحربية وتعبئة الجيوش الجرارة . فمهما نال المصريين من مظالمهم فانهم اكتسبوا منهم مزايا عظيمة

الفصل الثالث

الدولة الحديثة

مد نفوذ مصر على غيرها

تمتاز هذه الدولة من الدولتين القديمة والوسطى بان ملوكها لم يكتفوا بحكم مصر، بل مدّوا نفوذهم على كثير من الممالك المجاورة لها . وكان أوّل مساعد لهم على ذلك أنهم تعلموا فنّ الحرب أثناء مطاردتهم للهكسوس

﴿ الاسرة الثامنة عشرة ﴾

أحمس

هذه هى أوّل أسرات الدولة الحديثة ؛ ومؤسسها هو الملك « أحْمِسُ » (أحَعْمِس) الذى حرّر وطنه من استعباد العمالقة واستأصَلَ شأفتهم من مصر ؛ وما زال يقتفى أثرهم حتى غزاهم فى الجنوب الغربى من « فلسطين »

ويُعتبر أحمسُ من أعظم ملوك مصر : فانهُ فوق

أعماله

إنقاذه وطنَهُ من رِبْقة الاجنبي ، وحَدَ السلطة فى يد رئيس واحد ، ولمَّ شتات الامة بإخضاعه الامراء المصريين لأمره وان كان قد جعل أرض مصر جميعها مِلكاً للملك

تحتمس الاول

ومن أشهر ملوك هذه الأسرة « تُحْتُمُسُ الأوَّل » (طُوطميس الأوَّل) : فإنهُ أخضع بلادَ النوبة وكانت تمتد جنوباً الى قرب الجنادل الرابعة (الشلال الرابع) ، وغزا الشام حتى وصل الى نهر الفرات

حتشبسوت

ومنهم أيضاً الملكة « حَتْشِبْسُوتُ » (حتاسو) ، وكانتْ على جانب كبير من قوَّة البأس ، فخضعت لها مصرُ بأسرها . وقد أظهرت أثناء حكمها عُجْباً عظيماً وتيهاً متناهياً ، وتزيّت بزيّ الرجال . واكثرت من تشييد المبانى وزخرفتها وتدوين أخبارها ودعاويها عليها . وأهمُّ ماشيَّدته معبدُ « الدير البحرى » بجهة طيبة عَلَى الجانب الغربى للنيل

تحتمس الثالث

أما أعظم ملوك هذه الأسرة فهو « تُحْتُمُس الثالث » (طوطميس الثالث) الذى هو فى الحقيقة أعظمُ ملوك الدولة الحديثة ، وقد قال بعض المؤرخين إنهُ أعظمُ ملك فى تاريخ مصر بأجمعه . وكان ببلاد الشام فى أوَّل حكمه عدَّةُ ولايات صغيرة خاضعة لنفوذ المصريين ، فشق ملوكها عصا الطاعةِ

عظم شانه

محاربة ولايات الشام

على مصر بزعامة أحدهم (ملك «قادش»)، فخرج تحتمس من مصر بجيش عرَمْرَم ليؤدّبهم وسار نحو العدوّ (وكان مُعَسكراً فى « مَجِدُّو »)، وأقسم أن يكون هو فى طليعة الجيش، وحمل بهِ عَلَى الأعداء فولّوا مذعورين. فاستولى على « مجدُّو » وغنِم منها غنائمَ كثيرة: منها سُرادِقُ ملك قادش الفخم ونحو ٩٠٠ عَجلة حربية* واكثرُ من ألفى جواد. وبعد أن وطّدَ مُلكهُ فى جنوبى الشام عاد الى مصر

قهر ملك قادش

اتمام فتح الشام

ثم خرج بعدئذٍ الى الشام مراراً كثيرة، ففتح جميعَ بلادها حتى وصل الى الطرف الشمالى من البحر الأبيض. وكانت أعظمُ الوقائع التى التحم بها مع الأعداء فى «أرْواد» و«قادِش»

تحتمس فى بلاد النهرين

ثم قصد « بلاد النهرين » وما جاورها، فعبر نهر الفرات وسار حتى وصل الى مدينة « نِينوَى» على نهر دِجْلة، وكانت عاصمةً لمملكة عظيمة تسمى « أشورَ ». وبعد أن فتحها لبثَ بها يتصيّد الفيَلة مُدَّةً، كانت تفد فى أثنائها أمراء بلاد النهرين الى سُرادقه، يقدّمون اليهِ الجزيةَ إقراراً بخضوعهم له. وسرى الخوف من بَطْشِه الى أهل الممالك المُجاورة لأرض الجزيرة جنوباً وشمالاً، فبعثوا بالتُّحف والنفائس تزلُّفاً لِفِرْعَوْن

* كانوا يستعملون العجلات (العربات) فى الحرب

قوة أساطيله

كذلك عظمت مَهابةُ أساطيله البحرية ، فأصبحَ ملكُ « قُبْرُسَ » أشبهَ بوالٍ له ، وصار الأسطولُ المصرىُّ يُلْقى الرعبَ فى النفوس، فكسَبتْ مصْرُ به نفوذاً يمتدُّ من شرقى البحر الأبيض المتوسط الى ما وراء بحر « إيجَة »*

أعماله داخل مصر

وقد غزا « تحتمسُ » فى أيامِهِ الأخيرة بعضَ غزوات

تحتمس الثالث

* مجموع جزائر اليونان

فى بلاد النُّوبة. وكان ينتهز فرصةَ فراغهِ مابين حرْب وأخرى فيلتفت الى اصلاح شؤون بلاده الداخليـة . كذلك لم يألُ جهُداً فى تشييد المبانى وإقامة الآثار ، فوسع معبد الكرنك* ليصير ملائماً لحال دولته العظيمة . ومن آثاره المخلَّدة مسلتان عظيمتان : احداهما الآن بلندن والأخرى فى نيُويورك

وفاته. ومات فى السنة الرابعة والخمسين من حكمه بعد أن ملأ الشرقَ شهرةً وعَظَمةً . وجثته الآن بدار العاديات المصرية

أمينوفيس الثالث وأعظم الملوك الذين تولوا بعده فى أيام هذه الأسرة هو « أمِنْحُتِب الثالث » (أمينوفيس الثالث) ويمتاز عصره بأنهُ كان عصر سَلمٍ فى الجملة ، إذ كان وُلاته فى الشام على غاية الخضوع والامتثال لأوامره ؛ وكانت ملوكُ أشورَ وبابِل (مملكة قديمة موقعها الآن بلادُ العراق) وقُبْرسَ يهابونه ويتودَّدون اليه . فتفرّغ بكل قواه لتنظيم المصالح الداخلية ، وارتقت فى أيامه التجارة حتى وصلت الى حدٍّ لم تصل اليهِ من قبلُ ، فكانت تُجْبَى الى مصر ثمرات جميع العالم المعروف فى ذلك الحين

السلم فى عصره

---

* ما يسمى الان « معبد الكرنك » هو عبارة عن بناء هائل بجهة قرية الكرنك شيدت أجزاؤه على عدة دفعات . وكان المعبد الاصلى فى أول الامر صغيراً واسس بمدينة « طيبة » فى عصورها الاولى

طريق الكباش

عظمة المبانى فى عصره

وفى زمنه ارتقى فنُّ البناء والنقش والتصوير ، واتسعتْ مدينة طيبةَ اتّساعاً عظيماً . وأقيمت المبانى الشاهقةُ فى أنحاء البلاد : فمن ذلك أنهُ أنشأ معبدَ « الأقصر » وزاد فى « معبد الكرنك » ووصلَ ما بينهما بحديقة جميلة أنشأ بها طريقاً ، على طول كل جانب من جانبيهِ صفٌّ من أصنام تقارب فى الشبه صنم أبى الهول ، جسمُ كل منها شبيهٌ بجسم الأسد ، ورأسهُ شبيهٌ برأس الكبش ، ولذلك يعرَفُ هذا الطريق بطريق الكباش . وشيَّد له قصراً فى الجهة الغربية من « طيبة » ، وحَفَرَ بالقرب منهُ بركةً عظيمة لزَوْجه ، كانت تركبُ فيها قارباً كلما قصدت الرياضة

غارة الاسيويين على الشام

وحدثَ فى أواخر أيامه أن غُزِيتْ الشامُ من جهتين : فدخلها من الشمال قومٌ كانوا يقطنون آسيا الصغرى يُسَمَّوْنَ « الحِثّيين » ، وأغار عليها من الصحراء الشرقية أقوام آخرون من آسيا . فبادر « أمنحتب » بالتأهُّب لدفع الخطرَ الذى يتهدَّد دولتَهُ ، فمات فى السنة السادسة والثلاثين من حكمه قبل أن يتمكن من صدّ أعدائه

وكانت مصرُ فى هذه الأزْمة فى أشدّ الحاجة الى رجل حازم قوى ، يسهرَ على ما فيهِ مصلحةُ الدولة ويعمَل على تماسك

أجزائها . ولكن الذى خلَف أمنحتب (وهو ابنهُ « أمِنْحُتِب الرابعُ » المعروفُ « بإختاتون » ، وكان متفلسفاً قليلَ النظر فى السياسة) تفرَّغ للمباحث الدينية وأهمل شؤونَ الدولة ، فلحقَها الضعفُ من كل جانب . وقد كان المصريون الى زمن حكمه يَعبُدون عدَّةَ معبوداتٍ فأدرك هذا الملك خطأ تعدُّدِ الآلهة واعتقد وجود معبود واحد مُسَيْطِرٍ على العالم بأسره ، ادَّعى انهُ روح الشمس . فشُغِلَ طولَ حياتِهِ بنشر مذهبه وإبطال ما عداه من المذاهب ، ولم يدَعْ وقتاً للالتفات لشؤون دولته . فأخذت فى الانحلال السريع ؛ فاستولى الحِثِّيُّون على مُدُن سورية الشمالية ، وأغار غيرُهم من الأمم الآسيوية على أطرافها الجنوبيـة ، وبقيت الأحوالُ فى اضطراب الى أن انقرض نسلُ اختاتون * وأسّست الأسرة التاسعةَ عشرةَ ، فعَمِلَت على جمْع شَتاتِ الدولة وإعادة مجدها ، كما سيأتى بيانه :

اختاتون

انحلال الدولة

﴿ الأسرةُ التاسعةَ عشرةَ ﴾

تُعتبَرُ هذه الأسرةُ أيضاً من اعظم أسرات الدولة الحديثة :

اهمية الاسرة

---

* ثانى أخلاف إختاتون هو تُوت عَنْخ أمون » الذى كُشف قبره فى شتاء عام ١٩٢٢ — ١٩٢٣ م . وهو وان لم يكن من عظماء الملوك الذين دوّن لهم التاريخ جليل الاعمال الخالدة فان الاهتداء الى قبره فى هـذه الايام ووجوده فى الحال التى تركه عليها الاقدمون منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة حمل له شأنا خاصا عظيما ، لا فى مصر وحدها بل فى جميع أنحاء العالم

فكما أن الأسرة الثامنة عشرة لها الفخر فى تشييد دولة عظيمة ذات أملاك شاسعةِ الأطراف خارجَ وادى النيل ، كذلك الأسرةُ التاسعة عشرة كان لها الفضل فى حماية تلك الأملاك من الأعداء المغيرين عليها ، وإنقاذ الدولة من السقوط العاجل

سيتى الاول

ومن أعظم ملوك هذه الأسرة « سيتى الأول » . فقد بدأ أعماله بإخضاع أهل البدو الذين أغاروا على فلسطين ، ثم وطّد نفوذه فى الولايات السورية التى لم يدخلها « الحثيون » . ثم واصل السيرَ شمالاً حتى التحم جيشُه بالحثيين . فلما رأى رسوخ قدمهم فى تلك الجهات عقَد معهم صلحاً ، وبذلك انتهت حروبه

حفر الخليج

ولما عاد الى مصر وجّه عنايَته الى الأعمال الداخلية ، فأصلح الطريقَ المُوصّلَ الى مناجم الذهب بصحراء النُّوبة الشرقية . وحفر خليجاً (تُرْعةً) يوصّلُ البحرين الأبيضَ والأحمر ، مستمِدًّا من فرع النيل الشرقى . ومن آثاره الفخمةِ معبدهُ بالعرابة المدفونة وبَهْوٌ عظيمٌ بمعبد الكرنك يسمَّى « بَهْوَ الأعمدة » للأعمدة المصفوفة بهِ . وهو من أفخر وأجمل الآثار المصرية

بهو الاعمدة

رمسيس الثانى

وخلَفَه ابنهُ « رمسيسُ الثانى » ، ويسمى أيضاً « رمسيس الأكبرَ » لِما اكتسبهُ من الشهرة الفائقة . وهو بلا شك

أعظمُ ملوك الأسرة التاسعة عشرة : لأنهُ صاحبُ الفضلِ الأكبر فى إنقاذ الدولة من غارات المغيرين واسترداد معظم أملاك مصر الآسيوية التى فتحها جدُّه الأعظم «تحتمس الثالث»

وعند ما تولى رمسيسُ المُلك كان ملِكُ الحثيين يشتغل بجمع جيش عظيم من جميع أنحاء بلاده والبلاد المجاورة لها، ليحارب بهِ مصر، واستمال لذلك جميعَ ملوك الجزيرة والشام الذين كانوا أعداءً لمصرَ من قديم الزمان : فانضمت اليهِ ملوك « الجزيرة » و « أرْواد » و « قادش » و « حلب » وغيرها من الولايات السورية . فجمع رمسيسُ جيشاً يضاهى جيشَ عدوّه عدداً وعُدداً، وقسمهُ الى أربع فرَق، جعلَ نفسَهُ قائداً لإحداها، وسار بها فى مقدمة الجيش . فلما وصل الى قرب «قادش» أوهمهُ العدوّ أنهُ تقهقر شمالاً . فأسرع رمسيس نحو قادش بالفرقة التى يقودها بعد أن أمر باقىَ الجيش أن يلحق بهِ . فكرَّ عليهِ العدوُّ عَلَى غير استعداد منهُ، ففصل بينهُ وبين معظم جيشه، وكادت فرقة العجلات الحِثية تقضى عليهِ قضاء عاجلاً، لولا شجاعتهُ النادرة وحسن دفاعه : فانه تمكن بهما من مقاومة الأعداء حتى تلاحقتْ بهِ بقيةُ جيوشه، فنجا من الهلاك وصدَّ جيوشَ أعدائهِ . ولكنهُ تحمّل فى ذلك

حربه مع الحثيين

واقعة قادش

شجاعة رمسيس

خسائر كبيرة فجمع ما بقِيَ من جيشه وعاد الى مصر

خروج ولاة الشام

عند ذلك استخفّ ولاة الشام وفلسطين بفرعون ،فخرجوا عليهِ ، وامتدَّ الخروج جنوباً حتى وصل الى حدود مصر

استرجاع املاك مصر

لذلك ابتدأ رمسيس باسترجاع دولته الآسيوية من جديد . وكان كلما أخضع جهة اثار عليه الحثيون أهلها مرة أخرى ، الى ان أوقع بالحثيين فى وادى « الأُرُنْت » وقمع جميع الثائرين . على أن الحرب استمرت بينهُ وبين الحثيين حتى

محالفة الحثيين

تُوفّيَ ملكهم وخلفَه أخوه ، فعقد محالفةً مع رمسيسَ على أن يُمسكا عن الحرب ، وأن يكونا صديقين الى الأبد . وحدَّا فى المحالفة حدود أملاكهما ، فلم تنقص أملاكُ مصر الآسيوية عما كانت الاَّ قليلاً . ثم حضر مَلِكُ الحثيين الى مصر لمشاهدة عجائبها ، وزوّج إحدى بناته من رمسيس

ومن وقتئذٍ لم يخُضْ رمسيس ميدان القتال ، واكتفى فى المناوشات الصغيرة التى نشبت بعدُ بين بلاده وبلاد النوبة ولوبية بإرسال قواده للقيام بها ، وتفرغ هو للأعمال الداخلية . وفى أيامهِ زاد نفوذ مصر فى بلاد النوبة زيادة عظيمة

شهرة رمسيس

ولرمسيس شهرة فائقة فى التاريخ ، لم يَحْظَ بها « تحتمسُ الثالث » الذى هو فى نظر كبار المؤرخين أعظمُ منهُ . والسبب

الذى كوّن له هذه الشهرة الكبيرةَ تلك المبانى الكثيرةُ التى شيدها فى جميع أنحاء البلاد ونقش عليها أخبارَ حروبهِ، والمغالاة فى ذكر انتصاراته. ولم يكتف بذلك، بل كان يمحو كثرة مبانيه من المبانى التى شيدها الملوكُ السابقون أسماء مشيديها وينقش عليها اسمه، رغبة فى الشهرة وطمعاً فى تخليد ذكره فى التاريخ

﴿ رمسيس الثانى فى عجلتهِ الحربية ﴾

ومن أعظم مبانيه معبدٌ جميلٌ فى طيبة يسمى « الرَّمسيُوم »

تماثيله وقد أكثر من إقامة المسَلات وتزيين مبانيه بالتماثيل، ولاسيما تماثيله ذوات الحجم الهائل الذى كان يبلغ ارتفاع بعضها أكثرَ من عشرين متراً. ويوجد الآن بالبدرشين تمثال له هائل، هو غاية فى الجمال

ومات بعد أن حكم ٦٧ سنة . وقد بلغ إعجابُ خلَفه بهِ مبلغاً كبيراً ، حتى أن عشرة منهم سمَّوْا أنفسهم باسمه على التوالى . وجثته الآن بدار العاديات بالقاهرة

﴿ ابتداء اضمحلال مصر ﴾

فقد الملكة الحربية

فقدَ المصريون بالتدريج بعد عصر « رمسيسَ الثانى » تلكَ المَلَكةَ الحربية التى رُبيت فيهم منذ أيام تحتمس الثالث وغيره من مؤسسى الدولة الحديثة . فاضطرَّ الملوك الى استخدام الجنود المرتزِقة والأجراء من الأجانب : كالنوبيين واللوبيين (والإغريق فى العصور الأخيرة) واقتصروا على خُطة الدفاع بعدَ أن كان مآرَبُ الذين من قبلهم توسيعَ نِطاق الدولة وبَسْط نفوذها على غيرها من البُلْدان

منفتاح

ولما مات رمسيس خلفهُ ابنهُ «منِفتاحُ» فحارب حروباً كثيرة لحماية الشام وصدِّ هجمات اللوبيين وسكان جزُرُ البحر الأبيض المتوسط عَلَى غربى مصر ، فدفع الشر وقتاً ما عن البلاد

حبه للمبانى

وكان « منفتاحُ » كأبيهِ مولعاً بالمبانى : فكان يمحو أسماء الملوك من الآثار وينقش اسمَهُ مكانَها . وقد فعل ذلك بكثير من آثار والده نفسه ؛ فكأنَّ أباه قد لقِيَ جزاءه على يد ولده .

وقد قيل أن منفتاح هذا هو فرعونُ موسى ، وسنفصّل قصة موسى عليه السلام فى غير هذا المكان

عوامل ضعف جديدة

وظهرت بعد عهد «منفتاح» عدّةُ عواملَ جديدةٍ عملتْ على ضعف البلاد ، بعضُها داخليّةٌ والأخرى خارجية : فمن العواملِ الداخلية أن الكهنةَ أخذوا يبْتزون شطراً عظيماً من الثروة ، وقبضوا على جانب كبير من السلطة ، كما قبض الجنود المرتزقةُ على جانب آخر . ومن العوامل الخارجيـة أن البلادَ المجاورةَ لمصر نمتْ وازداد عدد سكانها ، فعمَدُوا الى فتح بلاد جديدة يبتغون فيها الرزق . فانهالت الغارات على مصر من كل جانب : فهاجمها اللوبيون من الغرب ، وزحف عليها سكانُ جزائر البحر الأبيض من الشمال والشرق عَلَى طريق الشام

رمسيس الثالث

وظهر فى هذا العصر ملك قوى يدعى « رمسيس الثالثَ » مؤسسُ الأسرة العشرين . قضى حياتهُ فى ردّ هؤلاء الأعداء ، فتمكن بجدّهِ وشدّة بأسه من حفظ الدولة من الدمار وإعادة جانب كبير من مجدها

الاضمحلال بعده

ولما أن تُوُفّىَ « رمسيسُ الثالث » لم يقدِرْ أخلافُهُ من الملوك الضعفاء عَلَى المحافظة على الدولة ، فهوتْ الى حضيض الاضمحلال بعد أن بلغت من المجد درجة لم تبلغها أمة قبلها

اشتراك الكهنة وأمراء تنيس فى الحكم

وقد ضعُفَ نفوذُ الملِك فى أيام رمسيس الثانى عشر (آخر ملوك الأسرة العشرين)، حتى تمكن «سِمِنْدِسُ» أحد أمراء تَنيسَ من الاستيلاء عَلَى جميع مصر الشمالية، ولذلك اعتُبِرَ مؤسِّساً للأسرة الحادية والعشرين. فلم يسعْ رمسيس هذا إلاَّ أن تَرَاجَعَ الى طيبة، ولازدياد قوة الكهنة فيها لم يكن له معهم من الأمر شىء يذكر. ولما انتهت أيامهُ خلَفه رئيسُ الكهنة «حِرْحورُ» ملكاً على الصَّعيد

المحافظة على جثث الملوك

وكان من أهم شواغل الملوك فى هذا العهد المحافظةُ عَلَى جُثثِ ملوك الأقدمين: لِمَا رأَوْه من عبثِ نبَّاشى القبور بها؛ وَلَمَّا أن أعيتهم الحيلة فى نقلها من مقبرة الى اخرى وضعوها فى مكان خفيّ بالقرب من معبد الدير البحرى، وهناك بقيت نحو ثلاثة آلاف من السنين بدون أن تصل اليها أيدى السارقين، حتى قامت نهضة البحث عن الآثار القديمة فى عصرنا، فكشِف مكانُها، وانتهى الأمرُ بنقلها الى دار العاديات المصرية بالقاهرة

حكم اللوبيين فى مصر

أما ملوك تَنيسَ فأخذ يَدِبُّ فيهم الضَّعفُ، حتى قام «شيشُنْق الأوَّل» (شيشاق) أحد قوَّاد الجند اللوبيين المأجورين وقبض عَلَى زمام الملك، فأسس بذلك الأسرةَ

شيشاق

الثانية والعشرين وقد امتدت سلطته عَلَى جميع مصر، وسلَبَ السلطانَ من كهنَة طيبة. وكان مقرّ حكومته «بو بَسْطةُ» (تل بسطة) بجوار الزقازيق. وفى أيامهِ انتعشتْ مصر قليلاً، وعاد لها بعضُ نفوذها فى فِلَسْطين. ولكنّ ملوكَ هذه الأسرة لم يستطيعوا إدخال القواد الآخرين فى طاعتهم، ونشأتْ ولايات عدةٌ بمصر يُحارب بعضُها بعضاً، حتى انقضت أيام الأسرة الثانيةِ والعشرين والثالثةِ والعشرين والرابعة والعشرين

﴿ إغارة الإتْيُوبيين[1] والأشُوريين ﴾

لما ازداد ضعف ملوك الأسرة الثالثة والعشرين لم يبق لملكهم «اسُرْكون» الثالث سوى منطقةِ «بسطة». وكان فى كل مدينـة كبيرة من مدن الوجه البحرى أميرٌ ينازعه السلطة. فظهر من بين هؤلاء الأمراء رجل قوى يدعى «تَوْنِخْتَ»؛ وهو أمير «سايس» (صا الحجر)[2]؛ فاخضع جميع الأمراء المجاورين له، ثم أغار على الصعيد

أسركون

تونخت

وكان الإتيوبيون قد ارتقوا على أيدى المصريين، واستقلوا بالمُلْك أيضاً. ثم استفحل أمرهم، حتى أن «بعَنخى» أحد

ارتقاء الاتيوبيين

(١) يراد باتيوبيا النوبة وما جاورها من الجنوب
(٢) بين طنطا وكفر الزيات

غارة بعنخى الاتيوبى

ملوكهم أغار على مصر واستولى على الوجه القبلى ، وأرسل الى « تَوْنِخْت » جيشاً أرجعه الى الوجه البحرى . ثم شرع فى الزحف على الشمال . فاستولى على مَنْفَ ، واظهر له أُمراء مصر الطاعة ، ومن بينهم « أُسُركون الثالث » . أما « تَوْنِخْت » فامتنع أوَّلاً عن تقديم الطاعة ، ولكنَّهُ قبلَ ذلك أخيراً ، ودخلت مصر فى حكم النوبيين

ثم عاد بعنخى الى النوبة ، فقامَ « بُخُوريس » بن « تونِخت » أمير صا الحجر فاستولى عَلَى سرير ملك مصر السفلى ، ولذلك اعتُبرَ مؤسساً للأسرة الرابعة والعشرين . غير أن ذلك لم يدُم طويلاً ، إذ قام « سباكُون » خلفُ بعنخى وثبّتَ قدمَ الإيتوبيين فى مصر مرة أخرى ؛ وبهذا اعتُبر مؤسساً للأسرة الإتيوبية أو الأسرة الخامسة والعشرين ، ومقرها « نَباتا » عاصمةُ بلاد النوبة

سباكون يؤيد حكم الاتيوبيين

دولة الاشوريين

وكان الأشوريون فى هذه المدة قد قويت شوكتُهم أيضاً ، واتسعت فتوحُهم ، فاستولوا على الشام وفِلَسْطين ، وأصبحت حدودُ مصر مهدَّدةً بإغارتهم ؛ فأوعز سباكُونُ الى ملوك الشام بالخروج عن طاعتهم ؛ فاغتاظ لذلك « أشور أخى الدين » ملك أشورَ وهجم على مصر بجيش قوىّ منظم ، ففر

غارتهم على مصر

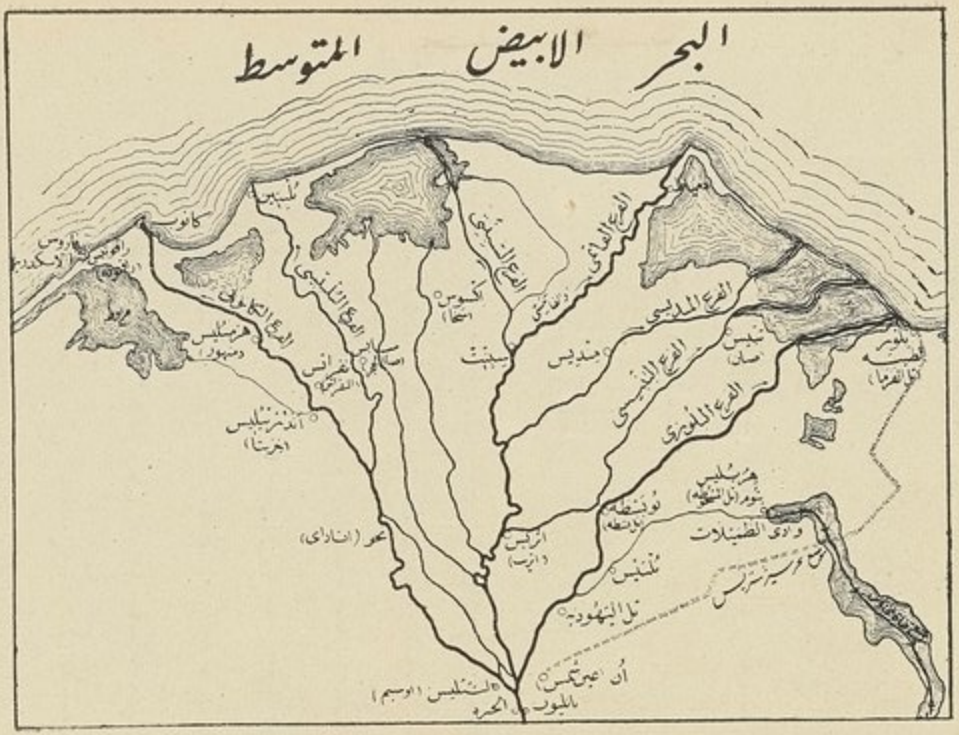

مصور لبيان بعض المواضع التاريخية فى الوجه البحري

فرار طهراقة الاتيوبى

« طَهْراقةُ » الملكُ الإتيوبى فى ذلك الوقت من وجههِ ، وتم بذلك استيلاء الأشوريين عَلَى مصر

حكم الاشوريين فى مصر

ثم عاد « أَشور أخى الدين » الى بلاده بعد أن ترك بمصر والياً أشورياً من قِبَله ، فلم يلبث طهراقة أن رجع من الجنوب وأبادَ الحاميةَ الأشوريّة بمصر . فعاد الأشوريون بجملة أُخرى وطردوا الأتيوبيين من مصر جملةً

﴿ النهضة المصرية الأخيرة ﴾

مساعى امير صا الحجر للاستقلال

لمَّا استولى الأشوريون على مصر نصّبوا على أقاليمها المختلفة حكّاماً وطنيين ، وجعلوا عليهم والياً أشورياً . وكان أعظمَ الحكام الوطنيين « نِخاو » أمير صا الحجر ومَنْف . فلما خَلَفه ابنه « إبْسَمَتيكُ الأوّل » رأى أن دولةَ أشورَ مشتغلة باخماد الثورات وتذليلِ البلادِ المجاورة لها الخارجة عليها ، وأنها آخذة فى الاضمحلال ؛ فشرع فى تقوية سلطانه ، واستعانَ بأحد ملوك آسيا الصغرى على التخلُّص من حكم الأشوريين ،

الاستقلال

واستقلّ بملك مصر بعد أن أخضع بقية الأمراء المصريين . فكان بذلك مؤسسَ الأسرة السادسة والعشرين

ويُعتبر ابسمتيكُ من أقوى فراعنة مصر وأعظمهم : ففى

ابسمتيك

أيامه نهضتْ مصرُ من سُباتها، وأخذت تستعيد مجدَها القديم. ولما رأى ابسمتيك أن مدة خضوع المصريين للمتغلبين أفقدتهم ملكة الحرب وأضاعت منهم نخوة الدفاع عن الأوطان، اضطرّ الى أن يستعين بالجند المرتزقة. فكوّن جيوشاً من الغُرباء الأشداء، معظمهم من بلاد الاغريق القديمة وجزر البحر الابيض. ولم يقتصر على إحياء الحضارة القديمة بأنواعها، بل عمل عَلَى الانتفاع بحضارة الامم التي أخذت وقتئذ فى الظهور. فسهل لهم التجارة فى بلاده، حتى أصبح الوجه البحرى مورداً ترد اليه التجارُ الأجانب من كل جانب، وخاصة الإغريق: فإن ابسمتيك رأى أن مجيئهم الى مصر واستيطانهم لها مما يُفيد البلاد، فرحب بهم ومنحهم أراضى يقيمون بها. فاستوطنوا مصر، ونشروا فيها تجارتهم، وشيدوا مصانعهم؛ فكان لهم بعض الأثر فى الحضارة المصرية. على أن المصريين أنفسهم كان لهم تأثير محسوسٌ فى الإغريق. فقد نقل عنهم هؤلاء كثيراً من أصول التصوير وعمل التماثيل والعلوم والفلسفة

الجند المرتزقة

استيطان الاغريق بمصر

وبعد أن تُوُفّىَ ابسمتيك خلَفَهُ ابنهُ (نِخاو) فاتبع خطةَ أبيه فى السعى وراء استرجاع مجد مصر. ولمّا كانت دولة الأشوريين اذ ذاك فى أقصى درجات الضعف والاضمحلال،

نخاو

استرداد الاملاك الاسيوية

تمكن من غزو جميع سورية واسترداد الأملاك الآسيوية. ولكن لسوء حظه لم تبق هذه البلادُ فى يده طويلاً، اذ

غارة البابليين

استولى عليها البابليون[1] وجاءوا بجيش يقوده «بُخْتَنَصَّر» لمحاربة «نخاو»، فهزم المصريين فى موقعة «قَرْقَميش». فلم يحاول «نخاو» بعدُ استردادَ الأراضى الآسيوية، وتفرغ للإصلاحات الداخلية

كرى الخليج

ومن أعماله أن شرَعَ فى كَرْى الخليج الموصل ما بين البحرين الأبيض والأحمر عَلَى طريق فرع النيل الشرقى وهو الذى أنشأه سيتى الأول، ولكنه لم يتمكن من اتمام عمله.

الطواف حول افريقية

ومن أعماله أيضاً أنهُ أرسل عدداً من الملاحين الفينيقيين[2] للطواف حول افريقية، فأتموا سياحتهم فى ثلاث سنوات

أحمس الثانى

ومن أعظم ملوك هذه الأسرة «أحْمِس الثانى» (أَمَسيس) وفى أيامهِ استولى المصريون على جزيرة قُبْرُس، وبلغت مصرُ درجة عظيمة من الرقى والنعيم، حتى قال «هيرودوت» إنهُ كان

---

(١) سكان العراق القدماء، وكانت بلادهم مجاورة لبلاد الاشوريين

(٢) «الفينيقيون» أمة بحرية تجارية قديمة كانت تنزل ساحل الشام من سفح لبنان الى البحر الابيض المتوسط، وقد ابتدأ ظهور حضارتهم فى عهد الدولة الوسطى من قدماء المصريين

زهاء عصر أحمس

بمصر وقتئذٍ ٢٠,٠٠٠ مدينة*. ومن أعماله أنهُ نقّح القوانين المصرية، ولما حضر «صولون» المشترع الإغريقي الى مصر في تلك الأيام اختار بعض هذه القوانين وعَمِلَ بمقتضاها في اثينا

ظهور دولة الفرس

وفي أيامهِ ابتدأت دولةُ فارسَ في الظهور، وأخذت فتوحُها تمتد شرقاً وغرباً. فاتفق أحمسُ مع البابليين وغيرهم على مقاومتها. ولكن اتفاقهم لم يفلح؛ فغلُب البابليون على أمرهم، ولولا أنّ أحمس لحقته المنية في سنة ٥٢٥ قبل الميلاد لرأى بعينه الجيوش الفارسية تقرع أبواب بلاده

﴿ غارة الفرس عَلَى مصر ﴾

ابسمتيك الثالث

عند وفاة أحمس خلفهُ ابنهُ «ابسمتيكُ الثالثُ». وفي أيامه شرعَ الفرْسُ في غزْو مصرَ بعد أن أعدُّوا لذلك المُعَدات الكبيرة. فجاء ملكُهم «قمبيزُ» بجيش جرَّار لفتح البلاد التي طالما تاقت نفسُ سلفه لإخضاعها. وكانت مصرُ إذ ذاك منيعةَ التحصين، ويقول مؤرخو الإغريق أنفسهم إن أحد الجنود اليونانية خان المصريين ودلَّ الفرس على أسهل الطرق التي يمكنهم منها دخولُ البلاد. فاستولى قمبيز على مصر بعد

قمبيز في مصر

* يلاحظ أن مدن مصر وقراها وضياعها الآن لا تزيد كثيرا على ثمانية آلاف

مقاومة شديدة . وأخذ أبسمتيكَ أسيراً ، فانتهت بذلك أيام الأسرة السادسة والعشرين سنة ٥٢٥ ق . م .

نكبات جيشه

وبعد أن تم لقمبيز فتح مصر أعد جيشين : أولهما وجَّههُ الى واحة « امون » (سيوَة) ، والثانى الى بلاد النوبة . وكانت الحملة الأولى طامةً كبرى عَلَى قمبيز : إذ أنّ الجيش الذى أرسله فيها وقدره ٥٠,٠٠٠ مقاتل هلك فى الصحراء ولم يُسْمع عنه شيء . أما الثانيةُ فتمكنتْ من غزوْ بلاد النوبة ، إلاَّ أنها عند عودتها صادَفتها عاصفة رملية بالقرب من الجنادل الأولى كادت تقضى على جميع رجالها

غلاظة قمبيز

وكان قمبيز فى أوّل أمره سَالكاً مَسْلَكاً حسناً فى معاملة المصريين : يحترِمُ دينَهم وعاداتهم ؛ ولكنهُ عند ما لَحِقَتْهُ كلُّ هذه الخسائر ، ورأى شَماتَةَ المصريين بهِ ، أخذ منهُ الغضبُ كلّ مأخَذٍ : فبدَت منه القسوةُ بجميع ضُرُوبها ، وكرّ على المعابد والهيا كل المصرية فهدمها ، وقتلَ بيده العجلَ أبيس فى إحدى الحفلات الكبيرة . وعند عودته الى فارس مات فى الطريق سنة ٥٢١ ق . م . ولما تولى ملْك فارسَ (دارا الأول) زارَ مصرَ ، وأراد أن يُصْلِحَ ما أفسده قمبيز : فأبدى احتراماً كبيراً لديانة المصريين ومعبوداتهم وأحدث كثيراً من الإصلاح

دارا الاول

بمصر ؛ من ذلك فَتْحُهُ للخليج الموصلِ بين النيل والبحر الأحمر

طرد الفرس من مصر

ثم نشبت حروبٌ بين الفرس والإغريق هُزِمَتْ فيها جيوش دارا هزيمةً مُنكرَة سنة ٤٩٠ ق. م . فانتهز المصريون هذه الفرصةَ ، وطردوا الفرسَ من البلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين سنه ٤٨٦ ق . م

الفتح الفارسى الثانى

ثم غزا الفرسُ مصرَ مرة ثانية . ولكن المصريين بقوا مُصرّين على التخلص من حكمهم ، فتسنَّى لهم ذلك بمساعدة الإغريق عام ٤٠٥ ق. م . ويُعرفُ ولاةُ الفرس هؤلاء بالأسرة السابعة والعشرين

نقطانب

وبقيت مصر يحكمها ملوكٌ وطنيون ضعفاء فى عهد الأسرتين الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين الى أن جلس على سرير الملك « نَختنبُو الأول » (نَقْطانب) مؤسس الأسرة الثلاثين . فنَهَضَتْ مصر فى عصره من رُقادها نهضةً لم تكن الا بمثابة صَحْوة الموت ، إذ فى أيام « نختنبو الثانى »

الفتح الفارسى الثالث

اخر ملوك هذه الأسرة تمكن الفرس سنة ٣٤٠ ق . م . من دخول مصر لثالث مرة . وبذلك انتهت أيام الفراعنة بعد أن حكموا وادى النيل نحو ٤٠٠٠ سنة . ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة . والملك لله وحدَه

الفصل الرابع

كلمة فى الحضارة المصرية القديمة

علِمْنَا فيما تقدَّمَ كثيراً من أخبار مُلوك مصر القديمة وأهمّ الحوادث التى جرتْ فيها منذ نشأتها الى أن سقطت آخرُ دولة من الفراعنة . ويحمُل بنا الآن أن نعرف شيئاً عن أحوال معيشة الأمة المصرية القديمة ومبلَغِها من العلوم والفنون، وذلك ما يُسَمَّى بالحضارة

عظم حضارتهم

تدُل الآثار المصرية الكثيرة المنتشرة فى أنحاء الدنيا أَن قدماء المصريين بلغوا فى الحضارة درجة لم تسبقهم اليها أمة من الأمم القديمة . وهاك تفصيل بعضها :

الزراعة

« الزراعة » : كانت الزراعة (ولا تزال) هى الوسيلةَ الفِطريّةَ لمعيشة المصريين وسعادتهم ، ولذلك كانوا يعتنون بها ويعملون على كل ما يؤدى الى طيب الزرع وخِصْب التربة . وأهم ما كانوا يزرعون القمح ، ثم الكتان والذرة وحبوب أخرى، ويتأنقون فى إنشاء الحدائق والبساتين ، فكان لها عندهم نظام دقيق ، وكان العنبُ والبلحُ أكرمَ الثمار التى اشتهرت بها مصر

فى تلك الأيام الخالية . ولم تكن طُرق الزراعة والرّى تختلف كثيراً عما هى الآن ، وخصوصاً رى الحيضان

الصناعة

« الصنَاعة » : وكان قدماء المصريين يُحسنون كثيراً من الصناعات : مثل صناعة نَسْج الكتَّان ، وصِباغة الأنسجة وصناعة الخزَف والزُّجاج ، وسَبْكِ المعادن : من النُّحاس والشَبَه (البرنز) والفضةِ والذهب

وكانوا يُتقنون صناعة النجارة ، فلم يكدْ ينقصُهم شىءٌ من

كرسى مصرى قديم

بدار الاثار المصرية

(مثال من دقة فن النجارة عند قدماء المصريين)

الآلات المستعملة فيها الآن . كذلك كانوا يُجيدون صناعة دبغ الجلود ، وصناعة الورق المتخذ من نبات البَرْدى ، وعمل التماثيل والأصنام من الخشب والحجر والطين والجص

التجارة

« التجارة » : تعوَّد المصريون التجارة من أقدم أزمانهم ، فكان النيل والترعُ غاصَّة بالقوارب التى تَحْمِلُ الحاصلاتِ المختلفةَ ، وما زالت تجارتهم فى نموّ حتى سلكوا البحارَ ونظّموا سيْر القوافل ، ووصلوا النيل بالبحر الأحمر ، وبعثوا البُعوث البحرية للاستكشاف عن البلاد المجهولة ، حتى صارتْ سفنهم تسلُك البحارَ من المحيط الهندى الى بحر إيجَة

العلوم والمعارف

« العلوم والمعارف » : بلغ المصريون مبلغاً وافراً من العلوم والمعارف . تدلنا على ذلك مبانيهم الضخمة ، ونقوشهم البديعة وكتابتهم العجيبة فى الأحجار الصوَّان ، من غير أن يستعملوا الفولاذَ أو يعرفوا الآلات الرافعةَ التى تُسْتَعمَلُ الآنَ . واهم العلومِ والفنونِ التى نبغوا فيها الفلَكُ والهندسة والعِمارةُ والكيمياء ، وخاصَّةً فنَّ تحنيط الموتى تحنيطاً أبقَى أجسادَهم أُلوفاً من السنين ، ثم تركيبُ الأصباغ الثابتة ، والرسمُ والتصويرُ وتأليف الألوان بحيث يجتمعُ منها منْظَر أنيق لا يُكِلُّ البصر . وهم كانوا مصدر العلوم الفلسفيَّة

والقوانين الإدارية ، وعنهم أخذتها الأمم المجاورة لهم .

المبانى

« المبانى » : من أهم ما اشتهر به المصريون مبانيهم العظيمة ، الدالة على عِظَم سلطانِهم ، وسَعةِ حضارتهم ، ورفيع رتبتهم فى العلوم عامةً وفن العمارة خاصة . الاَّ أنهم لم يحاولوا زَخرفة مبانيهم بتدوير زواياها ، أو إقامة القباب والمناور والأبراج عليها . وبالرغم من كل ذلك تمتاز مبانيهم بأنّ منظرها مُشعرٌ بعظم القوّة ، وفخامة الملك ، وبسْطةِ العلم ، ودقة الصُّنع

الكتابة واللغة

« الكتابة واللغة » : لا يكاد يوجَدُ شكٌّ فى أن الكتابة المصريةَ أقدمُ كتابةٍ فى العالَمِ . والأرجحُ أن الفينيقيين اخذوها عنهم ببعض تغيير ، وعن الفينيقين أخذت الأممُ ؛ فكانت أساساً لكتابة جميع الأمم المتمدينة . وتشتهر الكتابة المصريةُ باسم الكتابة « الفرعونية » (الهيروغليفية) ، وهى مكوّنة فى الأصل من صُور الحيوان والنبات والأشياء المتداولة : كل صورة منها رمزٌ لمعنى أو معنيين أو أكثر . ثم اشتُقَ منها حروف خالية من شَبَه الأشياء :

العادات

« العادات والأخلاق » : علمنا كثيراً من عادات قدماء المصريين : ومن أشهرها أنهم كانوا يتوارثون الحِرَف والصناعات ، ويتناولون ما يُنَقّى المعدة كل شهر ، ويتزوّجون

بالأخت . ومن عاداتهم صُنْعُ الولائم فى المواسم والأعياد ونحوها : فيحضُرُها الرجالُ والنساء ، فيأكلون ويشربون عَلَى سَماع الموسيقى والغِناء ؛ ثم يدخل الراقصون والراقصاتُ ، فتعزفُ الموسيقى ويصحَبُها تصفيق الأيدى ، حتى ينتهى الرقصُ . وكانوا فى حياتهم المنزلية يميلون الى التمتع بالطعام الجيد ، وإلى فرش منازلهم بالأمتعة الثمينة وترتيبها على احسن نظام . وكان أكثر المصريين يحلِقُون لِحاهم وشواربهم ، وكانت الملوكُ والأشراف يتزيّنون بالشعور المستعارة ، ويعتنون بترجيلها وتجعيدها على رءوسهم وأكتافهم

الاخلاق

أما أخلاقُهم فيُستدل من كلماتهم المأثورة أن أفضل الرجال فى نظرهم مَن كان شجاعاً قوىَّ الجأش والإرادة ، مستقيماً ، مجتنباً أخلاءَ السوء ، نشيطاً ، حازماً متبصّراً ، حافظاً لكرامة نفسه بلا تكبر ولا تعاظم . ومما أُثِرَ عنهم قولُهم للصبىّ : « انصرف الى العلْم وأحبِبْهُ كما تُحِبُّ أُمّك ، ولا تصرف يوماً فى اللهو والكسل ، وإلاَّ ضُرِبتَ بالسَّوْط » . وقولهم : « لا تنسَ احترامَ مَنْ هُمْ أسَنُّ منك أو أكبرُ منزلةً ، ولا تجلس وهم واقفون » . وكان المصريون لا يُهْملون أمر الرياضة البدنية : فكانت الكرةُ يلعبها الصِّغارُ والكبارُ ؛

الرياضة واللعب

وكان للصغارِ ألعابٌ أخرى منتظمة ، كما كان الكبار يحبُّون الصَّيْدَ والقَنصَ والمصارعةَ

الديانة

« الديانة » : تنوَّعت ديانة قدماء المصريين على طُول السنين : فكانوا فى أوَّلِ أمرهم يعتقدون بوجود إلهٍ واحد

التوحيد

عظيم حىّ قديم باقٍ ، ورمزتْ له كلُّ قبيلة برمز خاص ، ثم رمزوا لِصفات هذا الإلهِ الواحد برموز صارت بعدئذٍ

نسيانه

معبوداتٍ حتى نسوا التوحيدَ وصار مقصوراً عَلَى الكهنة . ثم اعتقدوا حلولَ الإلهِ فى أجساد الحيوان والأناسىّ ؛ فعَبَدَ كلُّ قوم ما رأوْا أن رُوحَ الله حلّت فيه : كالقطّ والكلب والتمساح

العجل ابيس

ونوعٍ من العجول يسمَّى أبيساً ، وهو اعظم معبوداتهم الحيوانية ، وكانوا يختارونه من بين مولودات البقر باجتماع عدة أوصاف فيهِ ، كسواد جلده ، ووجود شامةٍ بيضاء مثلّثةِ الشكل على جَبْهته . وكان يومُ الاهتداء اليهِ يومَ سرور عام ، كما كان يومُ موته ابتداءَ حزن عام ، يمتد الى يوم العثور على عجل آخر فيه جميعُ الصفات المطلوبة . وكانوا يحتفلون بدفنهِ احتفالاً عظيماً ولهذه العجول مقبرةٌ هائلةٌ ما زالت تشاهد بسقّارة الى الآن

المعابد

وكان تشييد المعابد وتدوين الحوادث عليها من أكبر

الاعتقاد بالبعث

أمانيِّ الفراعنةِ ومفاخرِهم. وكان قدماء المصريين شديدى التمسك بدينهم: يعتقدون بعث الأجسام بعينها، ولذلك بالغوا فى تحنيط أجساد موتاهم وحفظها فى مقابرَ منيعة، وكانوا يَرْجُون الثوابَ ويخشَوْنَ العِقاب فى اليوم الآخِر؛ فكان للدين تأثير شديدٌ فى حياتهم. ومن اهتمامهم العظيم بالدين وأمرِ الآخرة أن صار أكبر رغبةٍ للشخص منهم أن يُحتفل بدفنه احتفالاً عظيماً

الباب الثانى

فى قِصَص بعض الأنبياء

وأخبار بنى إسراءيل

الفصل الأول

سيرة ابرهيم عليه السلام

اصل بنى اسراءيل

كان أكثرُ الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى فى كتبه المُنْزَلة من بَنِى إسراءيل. ومعنى إسراءيل «عبدالله»، وهو «يَعْقُوبُ» ابنُ إسحق بن إبرهيمَ الخليلِ عليهم السلام. وأصلُ إبرهيم من «الكَلْدَانيين» الذين كانوا يَنْزلون ارضَ بابل؛ وكان قومه يَعبُدون الأصنام. فأنكر منهم ذلك ببُعْد نَظَرِهِ وحُسْن استدلاله، وَعبَدَ اللهَ وحدَه. فكان ذلك تمهيداً لنُبُوّتِهِ ورسالته

أصل ابرهيم

حضه على نبذ عبادة الاوثان

فلمّا بعثهُ اللهُ رسولاً إلى قومِهِ دعاهم إلى نبْذ عبادة الأوثان، مبيِّناً لهم أنها لا تضرّ ولا تنفع، ولا تسمع ولا تجيب، وأنهم يعبدون ما يَنْحِتون. فما كان جوابَ قومه إلاّ أن قالوا:

تكسيره الاصنام

« وَجَدْنا آباءنا لها عابدين » . وأراد ابرهيم أن يأتيهم بدليل حِسّيّ عَلَى أن تلك الأصنام لا تمنع عن نفسها الضرَّ ، فكيف تنفع غيرَها ! فتَغَفَّلَ القومَ فى وقتٍ لم يكن فيهِ أحدٌ منهم عند الأصنام وكسرها كلها إلاَّ الصنمَ العظيم منها . فلما رأوا أصنامَهم على هذه الحال صاحوا وَوَلْوَلُوا ، وقالوا : « مَنْ فَعَلَ هَذَا بآلهَتِنا إنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِين » . فقال بعضُهم : « سَمِعْنا فتًى يَذْكُرُهُمْ يقال له إبرهيمُ » . فَقَبَضُوا عَلَى إبرهيم وأحضروه أمام جماهيرهم العظيمة إزاءَ الأصنام ، وقالوا : « أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبرهيم » . فوجد فُرصةً لتسفيهِ عقولهم فى عبادة الأصنام وتوبيخهم وتجهيلهم ، فقال : « بَلْ فَعَلَهُ كبيرُهُمْ هذا (مُشيراً الى الصنم الأكبر الذى بَقِيَ سليماً) ، فاسْألوهم إن كانوا يَنْطِقُون » . فتحيّروا فى أمرهم ، إذْ كان كثيرٌ منهم يعرفُ أن الأصنام لا تَنْطِق ، ومن سألها منهم لم تجبه بشىء ، ولكنَّ فِعْلَ إبرهيم غاظهم جدًّا ، وعدّوه من اكبر الجرائم .

القاء قومه له فى النار

فقال بعضهم لبعض « حَرِّقوه وانصروا آلهتكم » ؛ فجمعوا له حطباً كثيراً ، وأوْقدوا فيهِ النارَ ، وقَذَفوا بابرهيمَ فيها . فلم يُمَسَّ منها بأذى ، وجعلها اللهُ بَرْداً وسلاماً عليه

ثم أمره الله بالهجرة مع زوجه ابنةِ عمه السيدةِ «سارَة»

اقامته بفلسطين

وابن أخيهِ «لوط» وبعض أقربائه . فنزل بهم بلادَ « حرّان» من أرضِ كَنْعَان شرقيَّ الشام ، يعيش عيشةَ أهل البَدْوِ : من تربية السائمة ورَعيها ، وما زال ينتقل من جهة منها إلى جهة ، حتى نزل أرض « حَبْرُون » من فِلَسْطين وأقام بها . ونزل « لوطٌ » بعد مدة أرضَ « الأرْدُنْ »

هجرته الى مصر

ثم حدثَ بفلسطين جَدْبٌ حمل إبرهيمَ على ان يرحَل إلى أرض مصر الخصيبة ، الى أن تزول الشدّةُ ثم يرجع إلى وطنه ، وكانَ ذلك فى أوائل عصر ملوك الرعاة (العَمالقة) . فعلم ملك مصر أنّ مع إبرهيم امرأةً جميلةً ، وهى زوجته «سارة» ، فأمر باحضارها اليه فى قصره طَوْعاً أَوْ كَرْهاً . فلما حضرت اليه عَصَمَها الله منه ، وأُصيب هو وأهلُ قصره بالمِحَن والأمراض القتّالة . فعلم ان ذلك من جَرّاء « سارة » ، فتاب وندِمَ ، واستغفرها ذَنْبَه ، وَرَدّها الى زوجها مُكَرَّمة ، ووهب لها الأموال والهدايا ، ومنها جاريةٌ مصرية تسمّى « هاجَرَ » .

تعرض فرعون لزوجه سارة

رجوعه الى وطنه

فرجَعَ ابرهيم إلى وطنه ؛ واشترى مغارة « عَفْرُونَ الحِثّي» جهة بيت المقدس ، وأقام مع زوجته مدة بلا أولاد ، حتى كبِرت سنُّه ويَئست زوجته من الذُّرية . فوهبت جاريتها « هاجر» المصرية لإبرهيم ، فجاءت منهُ بغلام سمّاه إسمعيلَ .

هاجر تلد له اسماعيل

فلحقت سارةَ الغيرةُ من « هاجرَ » وأمرت إبرهيمَ بإبعادها هى وابنها عنها

ابعاد هاجر وإسمعيل

فذهب بها إلى بلاد العرب، واسمٰعيلُ يومئذٍ ابنُ ١٣ سنة (على أصح الأقوال)، وأنزلهما بأرض مكة بقرب منازل قبيلة جُرْهُم. فنشأ إسمٰعيل بينهم وتزوج منهم، وتعلم لسانهم. فنشأت له من لسانه العبرىِّ، ولسان امهِ المصرىّ، ولسان جُرْهُم العربىّ، لغة مستقلة برأسها تكلّم بها هو وبنوه: وهى لغة العرب المُسْتَعْرِبة من بنى إسمعيل؛ المسماة فيما بعدُ « بالعَدْنانية » ثم المُضَرية ». وأرسله الله رسولاً إلى العرب.

نشأة اسمعيل

ثم إن إبرهيم بقى مع سارة بلا ذريَّة حتى أراد الله إهلاك قوم ابن أخيه « لوط » وكانوا كفرة فُجَّاراً؛ يأتُون المنكرَ جِهاراً. فأرسل اليهم الملائكةَ ليخسفوا بهم قريتهم. فمرّوا فى طريقهم بابرهيم. فبشّروه بأنّ زوجتـه « سارة » ستَلد منه غلاماً؛ فتعجبت « سارةُ » من قولهم، إذ كانت هى عجوزاً وبعلُها شيخاً. ثم ذهبوا وأهلكوا قومَ لوط. فحملت « سارة » بإذن الله ووَلدت ابنها « اسحٰقَ »، فكبر وترعرع

سارة تلد اسحق

وكان إبرهيم فى أثناء ذلك يتردَّد على ابنه « إسمعيل » بمكة. ورأى فى المنام ان آمراً يأمره بذبح وَلده قُرباناً لله.

ابرهيم يهم بذبح ابنه

فحكى ذلك لولده ، فقال لأبيه : « يا أبتِ أفعلْ ما تُؤمرُ ستجدنى إن شاء الله من الصابرين » . فلما همَّ بذبحه فداه الله بكبش عظيم . وفى كون الذبيح هو إسحق أو « إسمٰعيل » خلاف بين علماء المسلمين ، ولكنهم يكادون يتفقون على أن المكانَ الذى همَّ فيهِ ابرهيم بذبح ابنه هو أرض « مِنًى » بالقرب من مكة

بناء البيت الحرام

وكان ابرهيمُ يأتى مكةَ كثيراً ليزور ابنه . وفى أثناء تلك الزيارات أمره الله أن يُجدّد بمكة بناء البيت الحرام ، فبناه هو وابنُهُ « إسمٰعيل » فكان أقدمَ بيتٍ عُبد فيه الله وحدَه ، وأصبح مصدراً للتوحيد ؛ بظهور دين إبرهيم وإسمٰعيلَ أوّلاً ، ثم انتشار الإسلام من بين أركانه ثانياً على يد « محمدٍ » أفضلِ ذُرّية إسمٰعيل عليهما السلام

موت ابرهيم

وماتت « سارة » فى حياة « إبرهيم » ، وتزوج بعدها نساءً غيرَها رُزق منهنَّ بعدّة أولاد . ومات ابرهيم عليه السلام بعد أن عُمّر طويلاً ، ودُفن بمغارة « عفرون الحثّى » مع زوجته « سارة »

ولدا اسحق

ثم إن « إسحق » رُزق توءمين : هما « يعقوبُ وعِيصُو » ؛ وكانت النبوّة فى بيت « يعقوب » ، وأمرَهُ الله أن يسمى

نفسه «إسراءيل» وتَسَمَّى بنوه من ذلك الوقت «بنى إسراءيل»
ولما مات اسحق دُفن فى مغارة أبيه

الفصل الثانى

قصة يوسف عليه السلام

يعقوب

لما مات إسحق عليه السلام قام ابنهُ «يعقوب» مقامه فى أرض حبرون، وارسله الله رسولاً الى بنيه وقومه. وكان

أولاده الاسباط

قد تزوج بابنتى خاله «ليًا» و «راحيلَ» ورُزقَ منهما باثنى عشر ولداً ذكراً: وهم «الأسْباط» الذين تفرعت عنهم

يوسف وبنيامين

عشائر بنى اسراءيل، وكان منهم «يوسفُ» وأخوه «بِنْيامين» من راحيل والباقون من اختها. فكان يوسف اكرَمهم خُلُقاً وأجملهم خَلْقاً، بل كان أجملَ بنى آدم. وكان مُحَبَّباً إلى أبيه جداً لا يكاد يصبر عنهُ. فحَسَدَه إخوتهُ، وزاد حسدَهم له رؤيا رآها

رؤيا يوسف

فى نومه، قَصَّها عَلَى أَبيهِ فقال: يا أَبَتِ إِنّى رأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكباً والشمسَ والقمرَ رأيتُهم لى ساجدين». فعلِم أبوه من رؤياه أنهُ سيسود إخوته، وأنهم سيسجُدون أمامه خضوعاً له

فى يوم من الايام . فنهاه أبوه أن يقصَّ رؤياهُ على إخوته فيكيدوا له كيداً

كيد اخوة يوسف له

إلَّا أن حسد إخوته له على حُظْوَته عند أبيه دُونهم لم يمنعهم من أن يكيدوا له كيداً . فأوهموا أباهم أنهم يريدون الرياضة والتنزه فى الخلاء واستأذنوهُ فى أن يخرج معهم يوسفُ ليرتَعَ ويلعب . فقال لهم : «إنى ليَحْزُنُنى أنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأخافُ أنْ يأكُلَهُ الذِّئْبُ وأنْتُمْ عَنْهُ غافِلون» . قالوا «لَئِنْ أكَلهُ الذئبُ ونَحْنُ عُصْبَةٌ إنّا إذاً لَخاسِرُون» . فأذِنَ بذَهابِهِ معهم . فخرجوا إلى البادية ، وأبعدوا فى الطريق ، وأجمعُوا رأيهم أن يُلقوه فى

القاؤه فى الجب

جُبٍّ عَلَى طريق السيَّارة والقوافل . وذهبوا الى أبيهِ بقميصهِ مُلَوَّثاً بدمٍ مكذوبٍ ، وقالوا وهم يبكون : « يا أَبَانَا إنّا ذَهَبْنا نَسْتَبِق ، وتَرَكْنا يوسفَ عند مَتَاعِنَا ، فأكلهُ الذئب ، وما أنت بمؤمنٍ لنا» . فلم يصدّقهم ، وبقى حزيناً عليهِ كئيباً طول غيبته عنهُ

خروجه من الجب

فجاءت سيَّارة تَسْتقى الماء من الجب . فأدْلَى واردُهم دَلْوَهُ ، فتعلّق بهِ يوسف . ففرح الوارد وقال : « يا بُشْرَى ! هذا غلام»

تبنى عزيز مصر له

ثم حُمل إلى مصر ، وبيع فيها لعزيز مصر (ومنصبُهُ يومئذٍ فى المملكة عظيمُ الشرطة) فذهب بهِ الى بيتهِ وتبنَّاهُ . إلَّا أن جماله

سجنه

فتن امرأة العزيز ونساء العظماء من صواحبها ، فعصمهُ الله من كل سوء . ورأى العزيز أن يَسْجُنهُ مدةً يُنسَى فيها أمرُهُ ، وتكبَرُ سِنُّهُ ، وتتغيَّر مَعالمُ جمالهِ ، فلا يعود فتنةً للناس . فلبِثَ في السجن بضعَ سنين

تفسيره رؤيا ساقي الملك

وحدث اثناء سجْنه أن خبَّازاً وساقياً من خَدَم الملِك كانا مسجونين معهُ ، فرأى كل منهما رؤيا قصَّها على يوسف . وكان الله قد علّمهُ تأويل الرؤيا ، فعبَّر لهما رؤياهما : فقال : إن الخبازَ سيُصْلَب ، وإن الساقيَ سيرضَى عليهِ الملِك ويُعيده ساقياً لشرابهِ . وقال لهذا : « اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ » الملِك . إلَّا أن الشيطانَ أنسى الرجلَ إخبارَ الملك بأمر يوسف ، « فلبِث في السجن بضْعَ سنين »

تفسيره رؤيا الملك

ثم حدث أن الملك رأى في منامهِ « سبعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يأكُلُهُنَّ سبعٌ عِجافٌ ، وسبعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ ، وأُخَرَ يابساتٍ » فلم يعرف احدٌ تأويل رؤياه ، حتى تذكر الساقي يوسفَ وأخبر الملك بأمره . فبعثه الى السجن واستفتاه في أمر الرؤيا . فقال : انهُ سيمرّ عليكم سبعُ سنين خِصْبة ، ثم سبعُ سنين مُجْدِبة ، فازرعوا في السنين الخصبة ، واخزنُوا زرعها في سنابله الَّا قليلًا مما تأكلون ، فاذا أتت السنون المجدبة ، أكلتم مما

تنصيبه على خزائن الارض

ادخرتم . فأخبر الساقي الملكَ بذلك ، فاستحضره وجعله عَلَى خزائن الأرض . فقام بتدبير موارد مصر وريعها خيرَ قيام

ومرَّت السنون المجدبة عَلَى مصر وكأنَّها لم تكن ، بل كانت مصر تبيع ما زاد على حاجتها لأهل البلاد المجاورة الذين أُصيبوا أيضاً بالقحط . فجاء إخوتُه مع مَن جاء من أهل فِلَسطين ليَمِيروا أهلهم من حبوب مصر . فعرَفهم ، وهم لا يعرفونه . فاتَّهمهم بأنهم جواسيس ، فقصّوا عليه أمرهم ، وأنَّ لهم أخاً فقدوه ، وأن له أخاً شقيقاً لا يزال بفلسطين . فقال لهم : إن كنتم صادقين فى دعواكم فإنى لا أبيع لكم طعاماً بعد الآن حتى تأتونى بأخيكم هذا . قالوا : « سنراود عنهُ أباهُ » . ثم

قدوم اخوته لمصر ليمتاروا

سعى يوسف لاحضاره شقيقه

جهَّزهم يوسف بالميرة ، وأمرَ غلمانه أن يَضَعُوا ثمنَ بُرِّهم فى رِحالهم ، حتى اذا رجعوا إلى أهلهم ووجدوا أموالهم رُدَّت اليهم عادوا ومعهم أخوهم . وكان ذلك . فما زالوا بأبيهم حتى أذن لهم بإرسال أخيهم « بِنْيامين » معهم

حيلته فى حجز شقيقه بمصر

فلما جاءوا بهِ ، خلا بهِ يوسف ، وأخبره أنهُ شقيقهُ ، وأنهُ سيحتال فى منعهِ من السفر معهم . فجهَّزهم جميعاً بالميرة ودسّ سِقايةَ الملِك ، وكانت صُوَاعاً (قَدَحاً) من فضة ، فى متاع أخيهِ بنيامين سرًّا . فلما هموّا بالسير نادى منادٍ : « أيتها العِيرُ

حجز شقيقه بمصر

إنكم لسارقون» . فأقبلوا عليهم يَبْرءُون من سرقة الصواع ، فقال لهم غلمان يوسف : ما جزاءُ السارق فى دينكم ؟ قالوا : جزاؤه استرقاقه فيؤخذ عبداً لمن سرق منهُ . ففتّشوا أوْعِيتَهم قبل وعاءِ أخيهِ ، ثم استُخْرج الصواع من وعاءِ أخيه ، فقُبض عليهِ وأخذه يوسف

فخاروا فى أمرهم ، وعرضوا عليه أن يأخذ أحدهم مكانه ، فأبى . فتناجَوْا بينهم فى الأمر . فلم يَسَعْ كبيرَهم يهوذا إلّا أن يقيم بأرض مصر حتى يأذَن له أبوه بالرجوع أو يَقضىَ الله ما هو قاض . فعادَ بقيّتهُم الى أبيهم وأخبروه بالأمر . فارتاب فى صدقهم وزادت أحزانهُ حتى عَمِى .

فقد بصر ابيه

ثم أمرهم أن يعودوا الى مصر ليَمْتَاروا وليبحثوا عَنْ يوسف وأخيهِ . فذهبوا الى يوسف يتضرّعون ، فذكّرهم بسوء فعالهم ، فعرفوا أنهُ يوسف ، واستغفروه ذنبَهم . فعفا عنهم واستخبرهم عن أبيهِ ، فقالوا له : قد عمِى من البكاءِ عليك . فقال : « اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيراً وأْتونى بأهلكم أجمعين » . فعادوا وفعلوا ما أمرهم ؛ فارتد يعقوب بصيراً

يوسف يعفو عن اخوته

يعقوب يرتد بصيرا

وجاءَ أولادُ يعقوب ونساؤهم وذريتهم المسمون « بنى اسراءيل » الى مصر ؛ فدخلوا عليهِ وسجدوا بين يديه ، فقال : « يا أبَتِ

قدوم بنى اسراءيل الى مصر

هذا تأويلُ رُؤْيايَ من قَبْلُ قد جعلها ربّى حقا» .

نزولهم وادى الطميلات

وقدَّمهم يوسف الى فرعون مصر وهو (كما فى إحدى الروايات القديمة) الملك «أبوبى» (أفوبيس) أحد ملوك الرعاة الذى يُظن أنهُ أصلحَ آثارَ طيبة ونَحَت اسمه على ثلاثة من تماثيل أبى الهول المنسوبة الى امنمحعت الثالث . فأمر فرعون بإنزالهم جهةَ بُلبيَس ووادى الطُميلات من مديرية الشرقية وكانت عِدَّتهم على ما قيل ٧٢ رجلاً وامْرأة ، فتناسلوا بعد ذلك ونما عددهم . ومات يعقوب بأرض مصر بعد أن أوصى أن يُدْفن مع آبائهِ بالشام . فأنفذ يوسفُ وصيتهُ . ثم مات يوسف ؛ وقد أوصى بدفنهِ كذلك مع آبائهِ ، ولكنَّ بنى اسرائيل لم يستطيعوا نقلَهُ عَقِب وفاتهِ ، فبقى فى تابوتهِ حتى أنفذ وصيتَهُ موسى عليهِ السلام بعد أمدٍ طويل من موتهِ

موت يعقوب

موت يوسف

الفصل الثالث

قصة موسى عليه السلام

ازدياد نسل بنى اسرائيل

لمَّا سكَن بنو اسراءيل مصرَ منذُ زمنِ يوسف عليهِ السلام بقُوا فيها مئاتٍ من السنين يتناسلون وينمو عددهم. وكانوا فى أمْن وكرامة زمنَ ملوك العمالقة الرعاة. وبعد زوال تلك الدولة واستقلال المصريين بحكم أنفسهم على يد بطلهم العظيم الملك أحْمِس وجدوا الاسراءيليين يتقدَّمون ويزداد عددهم. فخافوا أن يزاحموهم فى الأرض، فيستقلوا بها أو يكونوا عوناً للأعداء عليهم. فعمِلوا على اضطهادهم وإذلالهم؛ فسخَّروهم فى إصلاح ما أفسده الرعاة من المبانى والهياكل وفى فلاحة الأرض؛ فلم يكن بعد ذلك إلَّا ازدياد عددهم أيضاً. فصار المصريون يذبحون أطفالهم الذكور ويستحْيُون الإناث

خوف الفراعنة منهم

اذلالهم وتقتيل اولادهم

اخفاء مولد موسى

وفى أثناء هذا الاستعباد وَلدت امرأةٌ من بنى اسراءيل غلاماً حسناً. فأخفتهُ عن أعوان فرعون. ثم خشيت أن ينكشف أمرُها؛ فصنعت سَلَّةً وطَلَتْها بالقار، وَوضعتهُ فيها

وألقت بهِ فى اليَمّ فى موضع يغتسل فيهِ آلُ فرعون . هذا الطفل هو موسى عليهِ السلام ، الذى بعثهُ الله فيما بعدُ رسولًا

نساء فرعون يتبنينه

فرأَتهُ نساء فرعون فأُعْجِبْنَ بهِ ، وعلمن أنهُ عبرانىٌّ ، فأشفقن عليه من القتل ، وعَزَمْنَ على تربيته وتَبَنّيه . وكانت أخت الطفل تلحظه من بُعد . فقالت لأهل بيت فرعون : «هل أدُلّكم على أهل بيت يكْفُلونهُ لكم» ، فأجابوها الى ذلك . فجاءت بأُمّهِ فأرضعتهُ وكفلتهُ ، وتربّى فى بيت فرعون . وعرَف الصبىُّ أنهُ عبرانىّ ، فكان يختلط ببنى اسراءيل كثيراً

دفاع موسى عن الاسراءيليين

ولمَّا بلغ أشُدَّهُ صار يحبّ قومه ويحامى عنهم . فحدث مرَّةً أن إسراءيليًّا اختصم مع مصرىٍّ . فانحاز موسى الى جانب الإسراءيلى ، ووَكَزَ المصرىَّ فقضى عليه . فندِم على عمله ، وخاف من معاقبته على جنايته

فراره الى مدين

ولما علِمَ أن أعوان الدولة يطلبونه ، فرَّ الى بلاد العرب ونَزَل على ماءٍ بأرض «مَدْيَنَ» ، حيث وجدَ رُعاة يَسْتَقُون . ووجد من بينهم فتاتين لا تستطيعان السقْى لمزاحمة الرعاة لهما عَلَى الماء ، فعاونهما موسى وسقى لهما . فذهبتا الى أبيهما ، وهو نبىُّ الله «شُعَيْبٌ» ، وأخبرتاه بأمر موسى

نزوله عند شعيب وتزوجه ابنته

فاستدعاه اليه وسأله عن أمره، وعرض عليه أن يزوجه إحدى ابنتيهِ، عَلَى أن يكون أجيراً له ثمانيَ سنين أو عشراً إن رضيَتْ نفسه بالزيادة. فرضِيَ موسى بالشرط، وتزوج ابنته

رسالته مع اخيه هرون

ولما أتم الأجلَ ذهب يرُود مكاناً يَنْزله. فلما كان بالجانب الأيمن من جبل الطور رأى ناراً فى شجرة، فذهب ليقتبس منها. فسمع كلام الله من الشجرة من غير أن يرى شيئاً. وأمره الله تعالى أن يذهب الى مصر رسولًا الى فرعَونَ وقومه، ويخلّص الإسراءيليين من العبوديَّةِ، وأن تكون العصا التى فى يده مُعجِزةً له؛ إن ألقى بها فى الأرض صارت حيَّةً عظيمة، وأمدَّه بغيرها من المعجزات. فاستأذن الله أن يرسل معهُ أخاه هَرون*؛ فشدَّ الله ازرَهُ برسالة أخيه معهُ

آيات موسى مع فرعون

فعرضا عَلَى فرعونَ التوحيد وإطلاق بنى اسراءيل ليخرجوا من مصر. فأبى فرعونُ، فأظهر موسى آية العصا وغيرَها. فبعث فرعونُ الى السحَرة ليُبْطلوا عملَ موسى، فلم ينجحوا، وآمنوا بموسى. فزاد ذلك فى غضب فرعَون. فلبث موسى يراجع فرعونَ فى الأمر، وهو فى أثناء ذلك يؤيّدهُ الله بمعجزات

* وقد كان تركه بمصر عند فراره منها

الضربات العشر

أُخرى، كلها عذابٌ لفرعونَ وقومِهِ: من ارسال الجراد على المزارع، ومن الأوبئة والصواعق وغيرها، نحو عشر آيات؛ وهى «الضربات العشر» التى أُصيبوا بها حتى عَجَز المصريون عن منع بنى اسراءيل من خروجهم من مصر

خروج بنى اسراءيل من مصر

فخرجوا سالكين طريقَ الصحراء الشرقية. وكان خليج القُلْزُم (البحر الأحمر) يمتدّ فى ذلك الوقت إلى قرب بلدة الإسماعيلية الحاضرة عَلَى عمق عظيم. فلما وصلوا الى البحر أدركهم فرعونُ بجنوده، لأنه كان قد أسِفَ على خروجهم من مصر. فخاف بنو إسراءيل منهم؛ فأمر الله موسى أن يضرب بعصاهُ البحرَ، فانفلَقَ أمامَهم وظهرت اليابسةُ. فمروا عليها. وفرعون هذا هو (على الأرجح) «مِنفْتاحُ» من ملوك الاسرة التاسعة عشرة، كما ذكرْنا قبلُ فى غير هذا المكان. وطمِعَ المصريون فى لحاقهم، فساروا وراءهم بينَ المياه، فانطبقت عليهم وغرِقَ فرعونُ وقومُهُ، ونجا بنو إسْراءيل، ودخلوا بَرّيةَ طورِ سيناء

غرق فرعون وقومه

بنو اسراءيل فى طور سيناء

وأمَرَهم موسى أن يذهبوا الى أرض آبائهم، ليقاتلوا الأقوامَ الجبّارين النازلين بها، ويُخلّصوا وطنهم القديم، فجبُنُوا

جبنهم

عن ذلك ، لأنهم كانوا فعلة فلاحين مُسْتَعبَدِين ، ليست فيهم همةُ المقاتِلين الذين ينالون السيادةَ بشرف الانتصار على غيرهم. فقالوا له : « اذهبْ أنْتَ وربُّكَ فقاتِلا إنّا ها هنا قاعدُون » .

تيههم فى سيناء

فكتب الله عليهم التيهَ فى البَرّيَّة أربعين سنة ، حتى يموت الجيلُ الذى أَلِفَ الجبنَ والعبوديةَ وينشأ جيل آخرُ تعوّد الدفاع عن نفسه وأَلِف الاستقلال

ونزلت التوراةُ عَلَى موسى فى خلال هذه المدة ، وعلّمها بنى إسرائيل ، واتّخَذَ منهم قضاة للشريعة ، وبنَى خَيمة للعبادة

يوشع يفتح بهم فلسطين

ومات قبل أن يفتح بنو إسرائيل فلسطين ، واستخلف عليهم نبيٌّ الله « يوشَع » ؛ ففتح بهم أرضَ فلسطين ، وكوّنوا بها دولة قوية ، بقِيتْ مدّة الى أن أزالها « بُخْتَنَصَّرُ » أوّلاً ، ثم الرومان ثانياً

الباب الثالث

عهد الاغريق والرومان

الفصل الأول

الاسكندر الاكبر وفتحه لمصر

اصل الاسكندر

قلنا إن أمة الإغريق أخذت فى الظهور أواخرَ عهد الفراعنة ؛ وبمُضيّ الأيام انتشرت علومُهم وفنونهم الى بلاد « مَقْدُونيا » فى شمالى بلاد اليونان . فظهر فى هذه البلاد ملك من أعظم ملوك الأرض يُدعى « الإسكندرَ المقدونىّ » ، أو الإسكندر الاكبرَ ، دلالة على ما له من عظيم القدر فى التاريخ. وكان أبوه « فليبُ » (فِلبُس) قد أخضع كل بلاد الإغريق .

الاسكندر والاغريق

فلما تولى الإسكندرُ الملْك كان عمرهُ لا يتجاوز العشرين ، فاستخفّ الإغريقُ به وثاروا عليه ؛ فأخمدَ ثورتهم بشدّة بأسه وعِظَم بطشه ، حتى دانَتْ له جميعُ الولاياتِ الإغريقيةِ ، ولم يَكَدْ يستتِبُّ له الأمرُ فى تلك البلاد حتى شرع فى الاستعداد

خروجه لغزو فارس

لغزو بلاد فارس ، للأخذ بثأر الإغريق والانتقام لهم من الفرس : لأنهم كانوا قد أغاروا عَلَى بلادهم أيامَ « دارا الأول » وخلفِه ، فخرج الإسكندرُ لغزو بلادهم ومعهُ ٣٥,٠٠٠ مقاتل ، وهو جيشٌ صغيرٌ جداً بجانب المقْصِدِ الهائل الذى خرج من أجْله . ولكن حُسْنَ نظامهِ ومهارةَ الإسكندر النادرة كفلا له نصراً قلّما يُوجدُ له نظيرٌ فى التاريخ

واقعة نهر غرانيق

سار الإسكندرُ بهذا الجيش إلى آسيا الصغرى ، فقابلهُ الفرسُ عند نهر « غرانيق » ، فقهرهم بعد قتال عنيف . ثم واصل المسيرَ حِذاءَ الشاطىء الغربىّ لآسيا الصغرى ، فلم يقف الفرسُ فى طريقه ، حتى وصل الى مدينة « أسّوس » عَلَى خليج الاسكندرونة من شاطىء البحر الأبيض المتوسط . وهنالك قابل جيشاً فارسياً عَرَمْرَماً يقوده « دارا الثالث » ملكُ الفرس سنة ٣٣٣ ق . م . فشتّت الإسكندر شَمْلَ الجيش الفارسى ، وفرّ دارا هارباً . وتُعرفُ هذه الواقعةُ بواقعة « أسّوس » . وبعد ذلك تم استيلاؤه على الشام

واقعة اسوس

فتحه لمصر

ثم قدِمَ الى مصر ، وكان الفرسُ قد استدْعَوْا حاميتَهم منها بسبب حروبهم مع الإسكندر . فلما وصل الاسكندرُ الى « بِلوزَة » او « الفَرَما » (قرب بورسعيد الآن) فى سنة ٣٣٢ ق.م

الاسكندر فى مصر

رحّب به المصريون : لِمَا سمعوا من عدالته ، ولِمَا لاقَوْهُ من الذلّ والهوان فى حكم الفرس . ففتحت له مصرُ أبوابَها ، ودخلها بدون عناء . وعندئذٍ سار الإسكندرُ الى واحة «أمون» (سيوَة) ، ودخل معبد أمون حيث لقَّبهُ الكهنةُ بابن أمون . وعند ذلك أبدى احتراماً كبيراً لديانة المصريين ، وقدَّم القرابين لمعبوداتِهم . ولكنهُ مع ذلك لم يُهمل العادات والتقليدات

الاسكندر الأكبر المقدونى

عن تمثال بدار آثار رومية

الإغريقية : فأدخل منها فى مصر الموسيقى والألعاب النظامية

بناء الاسكندرية

وكان فى جزء من موقع الاسكندرية الحالى قرية قديمة تُدْعى « راقودَة »[1] (راقوتيس) ، ذاتُ موقع بحرى جيّد ، مكوّنٍ لميناء عظيم بين شاطئ البحر وبين جزيرة مجاورة له تسمى « فاروس » (رأس التين الآن) ، فأنشأ الاسكندرُ عندها عاصمةً جديدة له سمّاها « الاسكندرية » ؛ ثم أمر بردْم الماء بينها وبين الجزيرة المذكورة ، فنشأ من ذلك مَرْسَيان جميلان . وبقيت الاسكندريةُ من أهم بلاد الدنيا الى وقتنا هذا

خروجه الى الشرق

وبعد أن استتَبَّ الأمرُ للاسكندر فى مصر خرج الى فتوحهِ الأخرى فى الشرق . فأخترق سورية مرة أخرى ، ومنها سار الى ارض الجزيرة (ميزوبوتاميا) ، حيث التقت جيوشُه بجيوش « دارا » الجرارةِ . فبدّد شَمْلَهم فى واقعة « إرْبِل »[2] الشهيرة عامَ ٣٣١ ق . م .

واقعة اربل

بلوغه المحيط الهندى

ثم سار الى بلاد فارس ذاتِها واستولى عَلَى عاصمتها : فسقطت بذلك دولةُ فارس . وجدَّ فى السير حتى بلغَ جبالَ « الهِماليا » ، فعبرها ودخل الهندَ ، واستولى منها على إقليم « البَنْجاب » . ثم سار متتَبّعاً نهر السند ، حتى وصل الى المحيط

(١) مكانها الآن (كوم الشقافة) (٢) شرق الموصل

وفاته

ولا ندرى ما الذى كان يأتى بهِ هذا الفاتح العظيم من المدهشات لو عاش طويلاً . ولكنَّهُ فى رجوعه أصيب بحمَّى قضت على حياته . وكان ذلك بمدينة « بابِل » عامَ ٣٢٣ ق . م . ، وعمرهُ إذ ذاك ٣٢ سنة وثمانية شهور

الفصل الثانى

البطالسة

تأسيس الدولة وصبغتها

لما تُوُفِّىَ الاسكندرُ قُسِّمتْ دولتهُ العظيمةُ بين قوَّاده الكبارِ ؛ فكانتْ مصر نصيبَ أحدهم المدعوِّ « بَطْلَيمُوسَ الأولَ » ، فأسس بطليموسُ هـذا بها دولة تُدعى « دولة البَطالسَة » ، صارَ لها شأنٌ عظيمٌ فى العالَم وتولَّت الحكم فى مصر نحوَ ثلاثة قرون من الزمان . وكانت مصريةَ الشكل فى كثير من مظاهرها : فمثلاً كان ملوكُها يظهَرون فى الحفلات الرسميَّة بزِىِّ الفراعنة الأقدمين ، وكانوا يقدِّمون القرابين والهدايا للمعبودات المصرية ، ويشيدون المعابدَ والهياكلَ على الطراز المصرىِّ القديم

بطليموس الأول

وكان « بطليموسُ الأولُ » معروفًا بالحزْم والحكمة والشجاعة

فلما تولى حكم مصر عام ٣٢٣ ق. م. نهجَ منهجَ الاسكندر فى حُسن معاملتهِ للمصريين واحترامهِ لدياناتهم، فأحبُّوه، وسارت البلاد فى سبيل الرقى بهدوٍ وسَكينة. وأوّل عملٍ يؤثَر عنهُ أنه جاء بجثة الإسكندر من بابل الى مصر فى موكب فاخر رغم معارضةِ غيره من قوّاد الإسكندر. ودفنها بالاسكندرية فى موضع يُظن أنهُ القبرُ المسمى الآن «النبىّ دانيال» أو تحت الحصن المجاور له المسمى الآن «كوم الديماس»

توسيعه نفوذ مصر

وقد قام بحروب كثيرة لتوسيع نطاق دولته، انتهت باسترداده جزءًا عظيماً من الشام بعد أن فقدته مصر مدة من الزمان. واستولى أيضاً عَلَى جزيرة قبرس، فصارت لمصر بذلك السيادةُ البحرية فى البحر الابيض المتوسط

دار الكتب والجامعة بالاسكندرية

ثم انصرف لتنظيم البلاد وترقية شؤونها: فزاد فى مبانى الاسكندرية، وأنشأ بها دار كتب عظيمةً تُعرفُ فى التاريخ بدار كتب الاسكَندرية، ومدرسةً جامعةً كبرى. فذاع صيت الاسكندرية بهذين المعهدين فيما بعد، حتى صارت كعبة للعلوم يَؤُمُّها طلاب العلم من جميع أنحاء العالم المُتَمَدِّن

بطليموس الثانى

وخلَفهُ ابنه «بطليموس الثانى» سنة ٢٨٥ ق.م. فاتسعت فى أيامه ثروة مصر، وتقدمت تجارتها، وانتشرت العلوم والمعارف

أعماله وآثاره

من أعماله أن جدَّد الخليجَ القديم الذى حفرته الفراعنة بين النيل والبحر الأحمر ، وأصلح طريق القوافل الموصل بين الوجه القبلى وشاطىء البحر الأحمر، فتقدَّمت التجارة المصرية حتى وصلت الى بلاد العرب والهند شرقاً وإلى إتيوبيا جنوباً. وشيَّد لهداية السفن مَنارةً عظيمةً بجزيرة فاروس ، اشتهرت فى التاريخ باسم «منارة الإسكندرية» ، ومكانها الآن الحصنُ المسمى « قايتباى » ولعظم ارتفاعها كانت تسطعُ أشعَّتها ليلاً من مسافة تربو عَلَى الثلاثين ميلاً . وفى أيامهِ تُرجمت التوراةُ من العبرانية إلى الإغريقية ، وألَّف «مانيتونُ» كتابه الشهيرَ فى تاريخ مصرَ القديم . ومن أهم آثاره جزءٌ كبير من معبد جزيرة « فِيلَة » المعروف بقصر «أنس الوجود» قربَ أسوان خلف الخزان

بطليموس الثالث

وخلفه ابنهُ « بطليموسُ الثالث » . وفى أيامهِ امتدَّت أملاكُ مصر الى ما كانت عليه فى أيام الفراعنة ، بل قدوُجِدَ على بعض آثاره أنه وصل فى فتوحه الى بابل وفارس

اتساع الدولة

وهو أوَّل ملك من البطالسة شيد مبانىَ عظيمةً ذاتَ أثرٍ خالد فى التاريخ : من ذلك معبدُ « أدفو » الذى ما زال حافظاً لشكله ورونقهِ إلى الآن

معبد ادفو

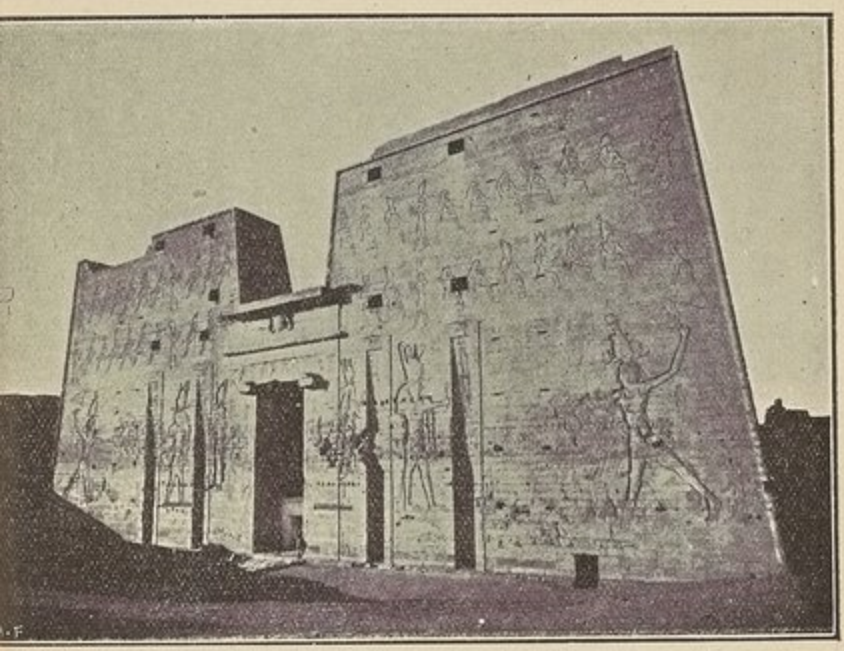

معبد أدفو

ابتداء الضعف

وبعد بطليموس الثالث تولى الملك بطليموسُ الرابع ، فالخامسُ ، فالسادسُ ، وفى أيامهم استولى الضعف على مصر ولم يبق لها من أملاكها سوى قبْرُسَ وبَرْقةَ . وكاد يُقضَى عليها لولا حِمايةُ « الرومان » لها وقتئذٍ

الرومان

والرومان أمة أوربية قديمة ، كانت من أشد أمم الأرض بطشاً وأوسعهم مُلْكاً وأكثرهم تَمَدْيناً . وقد بقى لحضارتهم بعد أن بادوا أثرٌ كبيرٌ فى مدنية أوربا الحالية . وَسُمِّيَتْ دولتهم

بدولة الرومان نسبةً الى « روميَة » التى كانت مهد نشأتهم .

تدخلهم فى شؤون مصر

وما كادت هذه الدولة تظهر بين ممالك الأرض حتى أخذت العلائق تنشأ بينها وبين دولة البطالسة فى مصر: فابتدأت العلائق بمصادقة الرومان للبطالسة ، ثم انتقلت إلى حمايتهم لهم كما ذكرنا ، وكان ذلك فى عهد بطليموس السابع عند ما طمعَ ملك سورية فى مُلْكه ؛ ثم انقلبت الحماية إلى سيطرة ، بازدياد ضعف البطالسة ، وانتهى الأمر باستيلاء الرومان على مصر جملةً

كليوبطرة واخوها

وذلك أنهُ لما تُوفِّي « بطليموسُ الثالثَ عشرَ » خلفتهُ ابنته « كِليُوبَطرة » سنة ٥١ ق . م . وأشركت معها فى الحكم أخاها « بطليموسَ الرابع عشرَ » عملاً بوصية أبيها . ثم وقع بينهما نزاع على المُلْك ، فجرَّد كلٌّ جيشاً على الآخر .

تدخل يوليوس قيصر

وقدِم الى مصر فى ذلك الحين « يوليُوس قَيْصر » القائدُ الرومانىُّ الشهيرُ ؛ فصرف كلٌّ من المتحاربين جيشَهُ ورفعا أمرهما الى قيصرَ . فقرر أن تتولى الحكم مع أخيها ، وأن تتزوّج بهِ طبقاً لعادة الكثير من الملوك المصريين . وبعد قليل مات أخوها ، فزوَّجها يوليوسُ قيصر بأخيها الثانى « بطليموسَ الخامسَ عشرَ » ، وأمر بأن يتولى الحكمَ معها . فكان كل

كليو بطرة
(كما رسمت على الآثار المصرية)

ذلك من أكبر مظاهرِ تدخُّل الرومان فى شؤون مصر

مواهب كليوبطرة

ثمَّ مات بطليموسُ فصفا الجوُّ لكليوبطرة. وكانت ذات جمال رائع ورشاقة بديعة. وكانت على جانب عظيم من الدَّهاء

والفِطنة ، ولها إلمام بلغات عدة ، واطّلاعٌ واسعٌ فى الأدب .

كليوبطرة و نطونيوس

وحدث أن تنازعَ قوّادُ يوليوس قيصر بعد مماته ، فكان النصر « لأنطونيوسَ » و « اكتافيوس » . وكانت كليوبطرة قد أمدّت خصميهما بالمساعدة ، فاستدعاها أنطونيوسُ اليهِ لتجيب عن عملها . وكان إذ ذاك بجهة « طَرَسوس » بآسيَ الصغرى . فذهبت اليهِ فى سفينة فاخرة ، جمعت فيها من أنواع الزينة والزُّخرُف وآلات الطرب ما يأخذ بالألباب . فهامَ بها وذهب معها إلى الإسكندرية ، حيثُ عاش فى لَهْوٍ وَلَعِبٍ وترك كلَّ واجباته العسكرية . فغضِبَ « أكتافيوس » وأثار الشَّعبَ الرومانىَّ على « أنطونيوس » وأعلن الحرب عَلَى كليوبطرةَ . . فغلب أساطيلها فى موقعة « أكْتِيُوم * » الشهيرة واستولى عَلَى مصر ، سنة ٣١ ق . م

غضب اكتافيوس

واقعة اكتيوم

أما كليوبطرةُ فانها لما اشتد خوفُها من « اكتافيوس » همّت بقتل نفسها ؛ فوضعت حيّةً عَلَى صدرها ، لدغتها فماتت

ممات كليوبطرة

ومن أهمِّ آثارها « معبدُ دَنْدَرَة » ، وما زال حافظاً لرونقهِ الى الآن . وبهلاك كليوبطرة انقرضت أُسرة البطالسة فى مصر ، وصارت بعدهم جزءًا من الدولة الرومانية

---

* غربى بلاد اليونان

الفصل الثالث

مصر فى عهد الرومان

زهاء عصر البطالسة

كانت مصرُ فى أيام البطالسة (ولاسيما أوائل ملوكهم) مملكةً عظيمةً ذات أملاكٍ شاسعة ، وتجارةٍ واسعةٍ رائجةٍ ، كُثرت فيها إقامة المبانى الشاهقةِ ، وارتقت بها العلوم والمعارف فقصدها كبارُ العلماء والفلاسفةِ : يدرُسون بمدارسها ، ويشتغلون بالبحث والتأليف بالاستعانة بدار كتب الاسكندرية العظيمة ، التى كان بها ما يقرب من ألفِ ألفِ كتاب على ما يقال

انحطاط مصر فى عهد الرومان

فلما استولى الرومان عليها سنة ٣١ ق. م أصبحتْ مجرّدَ ولايةٍ رومانية : فلم يكنْ لها شأن يذكَرُ فى التاريخ ، بل صارت بمثابة حَقْلٍ لإنتاج الحبوب وإصدارها إلى رومية ، لسَدِّ أهمِّ جزء من الخراج الذى فرَضه الرومانُ عليها . كذلك نقص فيها تشييد المبانى العظيمة من هياكل وغيرها ، وخصوصاً ما كان منها عَلَى الطِّراز المصرىّ القديم . ثم أخذ إهمالُ النقوش الهيروغليفية يزداد يوماً فيوماً ، حتى نُسِيَت تلك الكتابةُ

جُملةً فى آخر العصر الرومانى . وبقيت النقوشُ والكتاباتُ الكثيرةُ التى على الآثار المصرية غير مقروءة الى أن حُلتْ رموزها فى العصور الحديثة

ولاة الرومان

وبعد أن استولى « أكتافيوس » على مصر قَبَض على زمام الدولة الرومانية ولُقّبَ بالماهل (الإمبراطور) «أغُسْطُس» فأقام فى رومية ، ونَصّب على مصر والياً من قِبلهِ . وبقيت وُلاةُ الرومان تتتالى على مصرَ نحوَ ٦٧٠ سنة ، إلى أن انتهى العهدُ الرومانى سنة ٦٤١ م (٢٠ هـ) .

كثرة الفتن فى مصر

وفى زمن الرومان كُثرت الفِتَن والثورات الداخليةُ : بسبب اختلاف عناصر السكان ومذاهبهم الدينية فى أنحاء مصر وخصوصاً الإسكندرية . وقد تشكّلت هذه الفتنُ فى فى أطوار مختلفة . فكانت فى أوّل الأمر بين الإغريق واليهود لاحتقار الطائفة الأولى للثانية وطمعهم فى مالهِم ؛ وبدخول الديانة المسيحية فى مصر فشا النزاع بين المسيحيين والوثنيين ثم بعد أن انقسمت المسيحيةُ فى مصر إلى مذاهب مختلفة انتقل النزاع الى الطوائف المسيحية ذاتها ، لتعصُّبِ الحكومة الرومانية لِفريق دونَ فريق

ومن أشهر ملوك الرومان الذين لهم أثرٌ فى تاريخ مصر

العاهل تراجان

العاهل « تراجان » (الذى حكم من سنة ٩٨ الى سنة ١١٧ م) وقد حفر خليجاً من النيل الى البحر الأحمر لتوسيع نطاق التجارة فى الشرق . وفى مدته جُدِّدَ بناء حصن « بابليُون » ، وهو حصنٌ قديمٌ يقال إنهُ من بناء الفُرْس ، جدَّده تراجان عَلَى الطراز الرومانى ، ولا تزال بعضُ مبانيه باقيةً الى الآن بالقرب من كنيسة « مارى جِرْجِس » بمصر القديمة

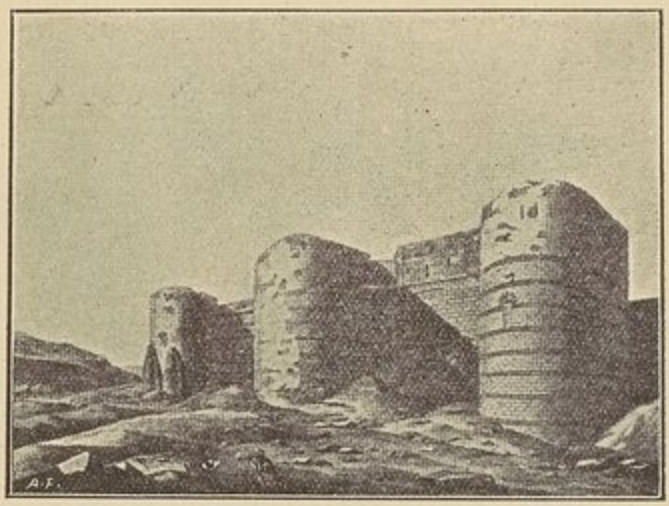

حصن بابليون

دقلديانوس

ومن أشهرهم أيضاً العاهل « دِقْلِدْيانوس » المتولّى سنة ٢٨٤ م . وقد قام بإصلاحات عدَّة فى أنحاء الدولة الرومانية ، فنالت مصر جانباً منها . ونظَّم ضريبة الغلال التى

اصلاحه

يحبيها الرومان من مصر : فجعل جزءا منها لرومية ، وجزءا لبَذْر الأرض ، والثالث لأهل الاسكندرية ، إعانةً لهم على ما أصابهم من الفاقة بسبب الثورات والقلاقل . فعظم ذلك الجميلُ فى أعين الاسكندريين ، فأقاموا عموداً جميلاً بالمدينة تذكاراً لهذا الملك ، ولا يزال هـذا العمود بالاسكندرية ، ويُعْرَفُ « بعمود السوارى »

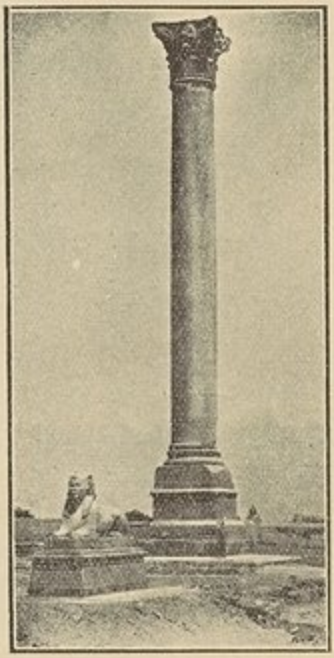

عمود السوارى

ومما يؤسف عليه أن السكينة التى سادت بالبلاد على يده

اضطراب اواخر عهده

لم تدُم طويلاً ، بل انقلبت فى أواخر أيامه الى اضطرابات شديدة انتشرت فى جهات مصر ، بسبب اضطهاد «دقلديانوس» للمسيحيين

المسيحية فى مصر

وبيان ذلك ان الدين المسيحى كان قد دخل مصر قبل ذلك بزمن بعيد على يد « القديس مُرْقُس » فى عهد العاهل « نيرون * » الذى حكم من سنة ٥٤ الى سنة ٦٨ م . فقوِىَ شأنهُ فى البلاد ودخل فيه أُناسٌ كثيرون . وما زال عَدَدُ أتباعهِ يزداد يوماً فيوماً ، واعتقادُهم فيه يقوَى شيئاً فشيئاً حتى مَلَكَ دقلديانوس . فلما رغِبَ الى الرعايا أن يضعوه موضع الالوهيَّة لم يخضع مسيحيو مصر لإرادته ، فأجهدَهم وعذبَهم وذبح منهم عدداً عظيماً فى جميع أنحاء البلاد . وقد ترك عصرُ دقلديانوس أثراً كبيراً فى نفوس الأقباط ، حتى إنهم سمَّوْهُ بعصر الشهداء ، وجعلوا أوَّلَهُ سنة ٢٨٤ م (وهى سنة التنكيل بهم) مبدأً للتاريخ القبطى

اضطهاد القبط وعصر الشهداء

قسطنطين

وبقِىَ المسيحيون فى اضطهاد حتى تولّى الملْك العاهل « قُسْطَنْطين » سنة ٣٢٣ م ، وجعل النصرانيـة هى الديانة

* وهو العاهل الذى اشتهر بالظلم والقسوة والاستبداد . ومما ينسب اليه أنه أحرق مدينة رومية وجلس على ربوة مشرفة على المدينة يتلذذ برؤيتها وهى تحترق

تعصب الرومان لطائفة الملكانية

الرسمية للدولة الرومانية . فكان يُظَنُّ أن البلادَ تتقدمُ فى عهده كَثيراً ، ولكنها ما لبثَتْ أن ظهرَ فيها خلاف بين الطوائف المسيحية المختلفة ، واستفحل أمرُ هذا الخلاف شيئاً فشيئاً ، بسبب تعصّب ملوك الرومان لمذهب الاقلية (وكانت تُمثَّلُ فى الطائفة « الملكانية ») ، وعدمُ احترامهم لمذهب الاغلبية (وكانت تُمثلُ فى « اليعقوبية »)

اشتداد السخط فى آخر العهد الرومانى

ثم صارت مصر فى العهد الأخير من الحكم الرومانى فى فقر شديد ، وبُؤس مُدقع ، تزداد حالُها تَعْسًا على تعس ، حتى أصبح الأهلون بمثابة آلات لانبات القمح . فعمَّ الاستياء جميعَ السكان ، وخصوصاً بعد ما ظهر تعصُّبُ الحكومة فى آخر العهد للإغريق وتخصيصُها لهم بكل منفعة ، مع أنهم ليسوا إلَّا عدداً قليلاً لا يمثِّل الأمةَ تمثيل القبْط الوطنيين . فزادت كراهيتُهم لحكم الرومان . وسهُل عليهم الترحيبُ بالعرَب

الفتح الاسلامى

عند ما فتحوا مصر سنة ٢٠ هـ (٦٤١ م) ناشرين العدلَ والحرية ، بقيادة البطل العظيم عمرو بن العاص ، كما سيأتى بيانهُ فى الجزء الثانى من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

الباب الرابع

تاريخ الأُمةِ العربيةِ

صفات العرب وتقسيم تاريخهم

العربُ أُمة ساميَّةٌ قديمةُ العهدِ، قويَّة البأسِ، شديدة الذَّكاء، ميَّالةٌ الى الحُرِّيَة وعِزَّةِ النفس

وتاريخُها المملوءُ بالحوادث العظيمة، والأعمال الجليلة، والآثار الخالدةِ، ينقسِمُ الى زمنين طويلين: زمنِ الجاهلية وزمنِ الإسلام

الفصل الأول

اخبار العرب زمن الجاهلية

١ — ﴿ وطنُهم القديمُ وحياتهم فى الجاهلية ﴾

وطنهم القديم

كانت مواطنُ العرب فى زمن الجاهلية لا تتجاوزُ شبهَ جزيرة العرب الى البلاد المجاورة لها إلَّا قليلاً

أقسام جزيرة العرب

وكانوا يقسِمُون بلادَهم قديماً خمسةَ أقسامٍ كبارٍ:

القسم الأوّلُ : « تِهامةُ » : وهى السواحل المنخفضة على البحر الأحمر

القسم الثانى : « الحجازُ » شرقىَّ تِهامة : وهى الأرضُ الجبلية الممتدَّة من الشام الى اليمن

القسم الثالث : « نَجْدٌ » شرقىَّ الحجاز : وهى الأرضُ المرتفعة وسطَ بلاد العرب

القسم الرابع : « العَرُوضُ » : وهى الارض التى تلى نجداً من الشرق والجنوب الى سواحل بحر فارس .

القسم الخامس : « اليَمَن » : وهى الأرضُ الممتدَّة من ساحل بحر القُلْزُم الجنوبى الى وسط شواطىء بحر فارس

طبيعة بلاد العرب

وبلادُ العربِ بلادٌ صحراويَّة ، لا يجرى فيها نهرٌ دائمٌ ولا تَرويها ينابيعُ عظيمة ، وإنما يتخلَّلها بعضُ أوديةٍ ورياضٍ ودارات (واحات) خِصْبةٍ ، تُنبتُ العُشْبَ الذى ترعاه أنعامهم . وتُسْقى بماء الأمطار والآبار الكثيرة وَبعض العيون القليلة ،

اليمن

غير أن بلادَ اليمن تُشْبه كثيراً بلادَ الحبشة ، وتكاد تكون دائمة الخِصْب لكثرة أمطارها ؛ ولذلك تُنبتُ أكثرَ الحبوب والبقول والفاكهة وغيرهـا ، كما تكثرُ فيها الماشية . وكانت فى أزمان حضارتها القديمة اكثرَ خصباً مما هى عليه الآن

معيشة العرب فى الجاهلية

والعربُ الجاهليةُ قسمان : بدوٌ وحَضَرٌ .

البدو

فأمَّا البدوُ فكانوا كأكثر الأمم الصحراوية يعيشون من تربية الماشية : يأكلون لحومَها ، ويشربون ألبانَها . ويتَّخذون من جُلودِها وأصوافِها وأوبارِها وأشعارها بُيوتاً ولباساً وأثاثاً ، ويبيعون ما زاد منها لصرف ثمنه فى قضاء حاجتهم . وهم لا يزالون فى حَلّ وترحال ، تبعاً لمساقط المطر ومنابت العُشب .

وكانت الصناعةُ والزراعةُ عند أهل البدوِ محتقرةً ، حتى أنهم لَيَجْعلون الاتّصافَ بها مَسَبَّةً وعاراً .

الحضر

وأمَّا الحَضَرُ : وهم سكّانُ اليمن الغربية ، وسكان ضِفافِ الفُراتِ وشرقيّ الشام ، وسكان بعض المدن كمكة والمدينة والطائف ، فكانوا يزيدون على تربيةِ الماشية الاشتغالَ بالزراعة وغَرْس النخيل والكروم ، وببعض الصناعات الضرورية ، وبالتجارة فى جزيرة العرب نفسها وخارجها . وامتازت « قُرَيْش » سكان مكةَ بالتجارة . وكان لها رِحْلتانِ : رحلةٌ الى اليمن فى الشتاء ورحلة الى الشام فى الصيف

أشهر المدن القديمة

ومن أشهر مُدُن العرب القديمة مكةُ المكرّمة و « يثربُ » (المدينة المنوّرة) و « الطائفُ » (بالجنوب الشرقى من مكة) و « عَدَنُ » ، ولا تزال كلها عامرة الى الآن ؛ ومأرِبُ ومَعين (باليمن) وتَدْمُرُ (ببادية الشام) ، وهذه الثلاث أطلال دراسة

٢ — ﴿ صِفاتُ العرب الخُلُقيَّةُ والأدبيةُ ﴾

« وعلومُهم وفنونُهم »

الجنس العربى

العربُ من سُلالة الجنس الأبيضِ، ومَنْ كان منهم أسمرَ اللونِ أو أسودَهُ فذلك عارضٌ عليه من طبيعة الجوّ

صفات العرب

والعربُ قومٌ معتدلُو القامات مَسْنونو الوجوهِ، سُبط الشعور، قُنْوُ الأنوف، واسِعو الجباهِ، أذكياءُ العقول، خِفافُ الحركة، فصحاءُ اللسان، ثابتو الجَنان، كِرامُ الأيدى، شديدُو الغَيرة والأنفةِ والانتقامِ والوفاءِ، مُحبّون للحُرّية لا يَعْدِلون بها شيئاً مطلقاً حتى حياتهم، ولذلك رَضُوا بضَنكِ العَيْش فى بلادهم المُقْفِرةِ، مُفضّلين له عَلَى خِصْب العَيْش فى جوار الدول المستبدَّة. وشجاعةُ العربِ اذا قادهم شجاعٌ مطاعٌ مُحنَّكٌ مما يُضْرَبُ بها الأمثالُ. وقد فَسَدتْ فيهم هذه الصفاتُ بعد أن خالطوا غيرَهم من الأمم الأعجميةِ المستبدَّة، ولكنها لم تُفْقَدْ فى ذُرّيتهم جُملةً، بل من المُشاهَدِ أنها تعودُ فيهم بسرعة اذا أحسِنَتْ تربيتُهم وتولّى إصلاحَهم رئيسٌ معتقَدٌ فيهم

بعض عاداتهم

وكان من عاداتهم حمايةُ الجار، والأخْذُ بالثارِ، وشنُّ الغاراتِ على بعضهم بعضٍ، وشُرْبُ الخمرِ ولَعِبُ المَيْسِرِ،

وَتقابلُ الطعامِ وَالمنامِ ، ورياضَةُ الجسم ، وَتقديمُ الكبير فى الرأى وَالعمل . وكان من عادات بعض قبائلهم السيئة وَأْدُ البناتِ (أى دفنهنّ أحياء) : كانوا يفعلون ذلك أنفةً من سَبْيهنّ فى الحروب ، أو تزوُّج غير الأكفاء بهن ، أو للعجز عن النفقة عليهن أيام الجَدْب ، أو لكثرتهن وكثرة قتل الرجال .

* * *

علوم العرب

وأكثرُ العرب أمّيُّونَ (لا يقرءون ولا يكتبون) لأنهم قومٌ بَدْوٌ لا حاجة لهم شديدة الى الكتابة

الكتابة والخط

أمّا أهلُ المُدُنِ الخِصْبةِ فى اليمن والحيرةِ والشامِ فكانوا يقرءون وَيكتبون . فاليمنُ كانت تكتبُ الخط « المُسْنَدَ » المشتقّ من « الفينيقى » ، وحروفُه منفصلٌ بعضها عن بعض

وَأهلُ الحيرة والأنبارِ كانوا يكتبون الخطَّ العربىَّ المتصلَ الحروفِ : أخذوه عن قبيلةِ « كِنْدَةَ » اليمانيةِ وعن أمة « النَبَطِ » ، وهما أخذتاه عن نوع من المُسْنَدِ يسمَّى « الصَفَوِىَّ »

واستعارَ أهلُ الحجازِ خطَّ أهلِ الحيرَةِ والأنبارِ واستعملوه فى آخرِ زمنِ الجاهلية . وَتَنَوَّعَ الى عِدَّةِ خُطوطٍ : منها الكوفىُّ والنَسْخُ وَغيرُهما

الشعر

ومن فنونهم نظمُ الشِعْر، وهو ديوان العرَب ومَجْمَعُ مفاخِرهم ومآثرهم. وهم فيه من أبرع الأمم

النسب

ومن أعظم علومهم علمُ النَّسَبِ، لشدَّةِ حاجتهم اليه فى معرفة البُعَداء والأقرباء، لأن العرَبَ أمة كثيرةُ الحروب والغارات، وكلُّ قبيلة تحتاجُ الى نُصْرة قريبتها فى النسب والعصبيَّة

علم النجوم

ومنها علم النجوم والجوّ وغيرهما من العلوم التى منشؤها التجارب العملية

ديانة العرب

أما ديانةُ العرب فكانت عَلَى أنواع شتى:

فمنهم مَنْ كان مُوَحِّداً عَلَى دين إبراهيم عليهِ السلام

ومنهم من كان نَصرانياً وخصوصاً عربَ الشمال وبعض أهل اليمن

ومنهم من كان يهودياً، كبعض أهل اليمن وسكان ضواحى المدينة المنوَّرة

ومنهم من كان يعبد الكواكب عَلَى اختلافها

ومنهم عَبَدَةُ الجنّ والملائكة وعبدةُ الأحجار والأشجار

وقلما كانت عبادة من هذه العبادات تخلو من اتخاذ الأصنام: إما معبودةً لذاتها، وإما معتبرةً شفعاء عند الله

الكعبة

وكانت الكعبةُ ، المعتَبرةُ أقدمَ معبدٍ لهم من عهد إسمٰعيل ، تُنصبُ عليها وحولَها الأصنام المختلفةُ

٣ — ﴿ طبقات العرب وممالكُها وقبائلُها ﴾

تنقسمُ العربُ فى جاهليتها ثلاثَ طبقاتٍ :

العربَ العاربةَ أو البائدة

العربَ المُتعَرِّبةَ أو القَحْطانية أو اليَمانية

العربَ المستعرِبةَ أو الاسماعيليةَ أو العَدْنانيةَ

﴿ العربُ العاربةُ (البائدةُ) ﴾

منشؤهم

وهم سكان شبه جزيرة العربِ القدماء الذين هاجروا من زمن بعيد جداً من بلاد ما بين النهرين وصحراء السماوَة (صحراء الشام) ، بسبب كَثرة الفتن والحوادث والحروب وغير ذلك ، وسكنوا جزيرة العرب . ولا تعرفُ كلُّ قبائلهم ولا كلُّ منازلهم بالضبط ، وكلُّ ما عُرِفَ عنهم هو بعضُ أخبار هذه القبائل الآتية :

عاد

(١) قبيلةُ « عادٍ » : وكانت قبيلةً شديدةَ البأس ، قويةَ الأجسام ، نزلت شرقىَّ اليمن ورِمالَ الأحقاف . أرسل

الله لهم نبيَّهم هوداً فكذّبوه، فأرسل الله عليهم ريحاً صَرْصَراً فأهلكتهم

ثمود (٢) قبيلةُ « ثَمُودَ » : وكانت منازلُها بالحِجرِ (مدائن صالح) بين المدينة المنوَّرة والشام. أرسل الله اليهم نبيَّهم صالحاً فكذبوه، فأبادهم بالصواعق

طسم وجديس (٣و٤) قبيلتا « طَسْم » و « جَديس » : وكانتا ذرّيةَ ابنَيْ عمّ، ومنازلُهما بأرض اليمامة وتمتدُّ الى عُمَان. وكانت السيادةُ لقبيلةِ طَسْم، فظاموا جديسَ، فدبَّرت لهم مكيدةً، قتلتْ بها ملكَهم، وأفنت جَمعَهم؛ وفرَّ بعضهم الى ملك اليمن من القحطانية وشكوْا اليه أمرَهم، فحارب جديسَ وأهلكها

حضرموت (٥) قبيلة « حَضْرَمَوْتَ » : وكانت تنزلُ شرقيَّ اليمن على ساحل المحيط الهندى، فى الأرض التى لا تزال مسمّاة باسمهم، وانقرضوا بحروبهم مع القحطانية واندمجوا فيهم

(٦) قبيلة « جُرْهمَ الأولى » : ولم يُعلمْ شيءٌ محدودٌ من أخبارهم

العمالقة (٧) قبيلة « العَمَالقةِ » : وهى أقوى الأمم البائدة بأساً، وأكثرُها عدداً. انتشروا فى اكثر جزيرة العرب والممالكِ المجاورة لها، فسكنوا اليمنَ والحجاز والفرات والجزيرةَ والشام

وطورَ سيناء ومصرَ . ومنهم العربُ « الرُّعاة » الذين ملَكوا مصرَ وأسسوا فيها الاسرات المَلَكية من الاسرة الخامسة عشرةَ الى السابعةَ عشرةَ . ومنهم « الكنعانيُّون » سكان فِلسطين القدماء الذين حاربهم بنو اسرائيل ونزلوا بلادهم بعد خروجهم من مصر . ومنهم أمُ فلسطين الأخرى . كأمة « النَّبَطِ » سكان بَطْرَةَ ، والتَدْمُر بين أهل تَدْمُر (فى بادية الشام) . ومنهم « مَدْيَنُ » سكانُ أرض مدين ، عَلَى ساحل القُلْزُم (البحر الأحمر) بالقرب من خليج أَيْلةَ (خليج العقبة)

﴿ العربُ المُتَعَرِّبة (القحطانية) ﴾

منشؤها وحضارتها

وهى أمةٌ هاجرت من البلاد التى هاجرت منها العربُ البائدةُ بعد زمن طويل ، ونزلوا أولًا بلادَ اليمن ، وهى أخصبُ بلاد العرب ، وغلبوا أهلها عليها ، وكوَّنوا فيها ممالك منظَّمة ، وبَنَوُا المدن العامرةَ والقصورَ الفخمة ، وسُدودَ المياهِ العظيمةَ ، واشتغلوا بالصناعة والزراعة والتجارة بين الهند وإفريقية وغربى آسيا وأوربا ؛ وخلَّفوا خطوطاً وآثاراً تدلُّ عَلَى أنهم كانوا أهل حضارة ومدنيَّةٍ عظيمةٍ سابقةٍ للإسلام بأكثر من ثلاثة آلاف سنةٍ . ثم انتشروا فى جزيرة العرب والعراق والشام

نسبهم

ويُنسبون الى « قَحْطانَ بن عابرَ » أولِ من نزل منهم بقومه جزيرة العرب ، وفيها تعرَّبَ لسانُ ابنهِ « يَعرُبَ » . ومن وَلَدِ سبإٍ ، بن يشجُبَ ، بن يعرُبَ ، بن قحطان نشأ شَعْبان عظيمان : « حِمْيَرُ » و « كَهلانُ » . ونشأ من كل منهما قبائل شتى

دولهم

والمعروفُ من دُوَلهم ثلاثُ دُوَل قديمة فى اليمن ، ودولةٌ فى العراق ، ودولةٌ فى الشام ، ودولةٌ فى الوسط والجنوب

فأمَّا دولهم فى اليمن فهى :

المعينيون

(١) دولةُ « المَعينيّينَ » : وكانت حاضرتهم مدينة « مَعين » وهذه الدولةُ كُشفَتْ أخبارها حديثاً بقراءة خطوط المُسْنَد التى عَلَى أحجار أطلال مَعين

سبأ

(٢) دولةُ « سبإٍ » : وهم سُلالةُ سبإٍ ، من ذُرّيةِ يعرُبَ وكانت حاضرتهم مدينة « مَأرب » . وتقدَّمت هذه الأمة فى طريق الحضارة . وكانت بلادُ اليمن جنةً فى زمانهم : فانهم نظموا الرىّ فى بلادهم ، وجعلوا سَدًّا عظيماً من البناء المُحْكَم بين جبلين عظيمين ، يحجُزُ خَلْفَهُ مياهَ السُّيول والأمطار فتصير وراءهُ كالبُحيرة العظيمة ، وله عيون يفتحونها فتسيلُ منها المياه بقدر حاجتهم ، ويُغْلِقونها متى أرادوا . وبقُوا كذلك فى رَغْدٍ من العيش ، حتى ظلموا أنفسهم بالفِتن والحروب ؛

وأهملوا شؤون السدّ، فتهدَّم فى وقت الفيْض، وأغرق بلادهم وأهلك مزارعهم؛ وطغا عليها الرملُ، فتخربت ديارُهم وأجْدَبتْ حقولُهم. فتفرَّق أكثرهم فى جميع جزيرة العرب وتمزقوا كلَّ ممزَّق واختلطوا بشعوب عَدْنانَ، وأسسوا بينهم بعض إماراتٍ وممالكَ صغيرةٍ. وبقوا يُسَمَّوْنَ «اليمانيةَ» حتى بعدَ الإسلام بقرون

حمير (٣) دولةُ «حِمْيَر»: وهى من سبإٍ. بقوا فى البلاد العامرة من اليمن، يرتزقون بالصناعة، والزراعة، والتجارة، واستعاضوا بعضَ عظمةِ سبإٍ؛ وطالت دولتُهم، وتعدَّدت ملوكهم؛ حتى تغلبت عليهم الحبَشَةُ؛ وحَكَمها منهم ثلاثة ملوك، أوسطُهم «أبْرَهةُ» صاحبُ الفيل، الذى أراد تخريب الكعبة فأهلكه الله وجيشَه. ثم استنصرَ أهل اليمن «كِسْرَى»؛ فبعثَ لهم جيشاً من الفُرْس طرد الحبَشَةَ ثم استولى بعد قليل على اليمن حتى جاء الإسلام

المناذرة وأما دولةُ العِراق فكانَ مقرَّها «الحيرةُ» ويُسَمَّوْن «المَناذِرَةَ» لأن أكثر ملوكهم يسمى «المُنْذِر» وكانوا موالِينَ للفرس، أو كأنهم نُوابٌ عن كِسْرَى فى بلادهم نيابةً اسمية؛ وكثيراً ما اشتركوا مع الفرْس فى مُحاربة الروم. ومن أشهرهم

«المنذرُ بنُ ماءِ السماء» و «عمرُو بنُ هنْد» و «النُّعمانُ بنُ المنذر»

الغساسنة

وأما دولة الشام فهي «الغَسَاسِنةُ». وأشهرهم «الحارثُ ابن أبي شِمْر» و «جبَلةُ بن الحارث». وكانوا مُوَالين للروم وينصُرونهم عَلَى الفرس، وكثيراً ما حدثت بينهم وبين المناذرة حروبٌ وغاراتٌ. وكانوا ينزلون دِمَشْقَ وبُصْرَى وغيرَهما

كندة

وأما دولة الوسط والجنوب فهي دولة «كِنْدَةَ»، وأصل مساكنها شمالَ «الأحقاف»، ثم تغلبوا على بعض «تهامةَ» و «العَروض» و «نجْدٍ». وأولُ مَن ملَك منهم «حُجْرُ بن عمرو» آكلِ المُرارِ؛ وآخرُهم «امرُؤ القيس» الشاعر المشهورُ

ومن القحطانية ملوك آخرون لم يكن لهم دول متوارَثة بل كان مُلْكهم مقصوراً عليهم

﴿العرب المستعرِبةُ (الإسماعيلية)﴾

منشؤهم

وهم أولاد إسمٰعيل بن إبرهيمَ عليهما السلام. وسببُ نزولهم بلادَ العرب أن ابرهيمَ أسكنَ ابنَه إسمٰعيلَ وأمَّهُ هاجَر المصريةَ موضعَ مدينةِ مكةَ، باعتبار أنها الأرضُ المقدَّسة في بلاد العرب. فنزلت بجوارهما قبيلةُ «جُرْهُمَ الثانية» مِن وَلَدِ قَحْطان، وتزوج إسمٰعيلُ من نسائهم، وتعلَّم منهم العربيةَ.

فنشأ أولادُه يتكلمون العربيةَ القحطانيةَ ، ممزوجةً بكثير من العبرية والمصرية . وهى اللغةُ التى سُمِّيت بعدئذٍ بالعَدْنانية ثم المُضَرية . ولا يُعلمُ بالضبطِ أخبارُ الشعوبِ الأولى من أولاد إسمٰعيل . والذى عُرِف من جميع القبائل الإسماعيلية يُنسَبُ الى « عَدْنان » ؛ فهو الجَدُّ المعروفُ بعد إسمٰعيل لجميع قبائلهم

نسبهم

وكان لِنَزار بن مَعَدِّ بن عَدْنانَ أربعةُ أولاد : مُضَرُ وربيعة وإيادٌ وأنمارٌ . وتناسَلَ منهم قبائلُ شتَّى ؛ إلاّ أن أكثرَ العرب المستعربة من وَلَد مُضَرَ وربيعة ؛ فنشأ من كل منهما عدة بُطون : فمن بطون ربيعةَ بَكْرٌ وتَغْلِبُ

ومن بُطونِ مُضَرَ قيسٌ وتميمٌ وسُلَيمٌ وكِنانة

قريش

ومن قبائل كِنانةَ « قُرَيْشٌ » . وأبوهم قريشٌ هو فِهْرُ ابنُ مالكِ بن النَضْر بن كِنانة . وكانت قُريشٌ متفرّقةَ الكلمة فجمعها « قُصَيٌّ » (أحدُ كبرائها) ووحّدها ، واسترجع من قبيلة « خُزَاعةَ » القَحْطانيةِ سِدانةَ الكعبةِ * وكانوا اغتصبوها من

رياستهم الدينية

أولاد إسمٰعيل ؛ فأصبحَ لقُرَيْش الرياسة الدِّينية على جميع قبائل العرب ؛ إذ كانوا كلُّهم يُعظّمون الكعبةَ ويحُجُّون اليها . ثم علا شرفُهم وصاروا مُحكَّمينَ فى كلّ شىءٍ وخصوصاً اللغةَ والشِّعْرَ ؛

* سدانة الكعبة خدمتها وحراستها والعناية بها

مكانتهم

فما أعجبَهم منهما حاكتْه العربُ ونَسَجَتْ على مِنْواله. وكانت قريش تشتغل بالتجارة، ويرحلون بالمتاجر الى اليمن والشام وغيرهما. وبقُرْب مكةَ كانت تُقامُ الأسواقُ العظيمة وأكثرُها كان قُبَيْلَ الحجّ

عبد مناف وهاشم

وأشرفُ بيتٍ فى قُرَيش وأنبله بيتُ «عبدِ مَنَافٍ». وأشرفُ بيتٍ فى بنى عبد مناف بيتُ «هاشِم»: ومنهُ النبى صلَّى الله عليه وسلم: محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ بن هاشم

٤ — ﴿ أيامُ العرب وحروبُها ﴾

وللعرب عدَّةُ حروبٍ عظيمةٍ بين شعوبها وقبائلها، تُسَمَّى كلُّ حربٍ منها باسْم يوم. ومن أشهرها:

بعض حروب العرب

حربُ البَسُوس، وحربُ داحِسٍ والغَبْراء، وحربُ الفِجَار، وحربُ الفيل، وحربُ ذى قارٍ

وكانت العربُ فى القرن الثانى قبلَ الهجْرَة فى نزاعٍ مُسْتَمرّ وفِتَنٍ دائمةٍ، حتى كادوا يتفانَوْنَ؛ وطَمِعَتْ فيهم الأممُ المُجاورة لهم: فأغارت الحَبشَةُ على اليمن واكتسحتها. ثم ذهب مِلكُها «أبْرَهَةُ» بجيش عظيم يقدُمُهم فِيلٌ كبيرٌ لإذلالِ قُريش

غارة الحبشة

وتخريب البيتِ الحرام ؛ فهلكوا بعذاب عظيم وهُم يُحاصِرُون مكة

سيف بن ذى يزن

ولما طال أمرُ الحبشة على أهل اليمن ذهب أحدُ أبناء ملوكهم وهو « سيفُ بنُ ذى يَزَن » يستغيث بقياصرة الروم

استغاثته بالروم والفرس

على الحبشة ؛ فلم ينصرُوه ، وتبيّن انهم كانوا المُغْرين للحبشة على اكتساح اليمن . فذهب الى كسرى . فبعث معهُ جُنْدًا انتصرُوا على الحبشة وطردُوهم من اليمن . ثم أدخلها الفرس فى طاعتهم بعد موت « سيف » . ولم يكتفوا بذلك ، بل قتلوا « النعمانَ » ملكَ العرب على الحيرة ، وأرسلوا جيوشاً جرَّارةً الى داخل بلادِ العرب ، لكى تُخْضِع القبائلَ التى أوْدَعها النعمانُ أهلَهُ ومالَه . فأنِفَتِ العربُ من احتمال هذا الذلّ ؛

واقعة ذى قار

وتحالف بعضُ قبائلهم عَلَى مُحاربة جيوشِ الفرس فى أرض « ذى قار » بقرب الفرات ، فهزموا الفرس شرَّ هزيمة

تكوين الوحدة السياسية

وهذه أولُ مَوْقِعةٍ انتصر فيها العرب عَلَى جيوش الفُرْس العظيمةِ . وكان ذلك من بَواعث تكوينِ وَحْدَتهم السياسية

تأثير الاسواق

ومن الأمور التى وحَّدت كلمتهم أيضاً الأسواقُ العظيمة للمتاجَرة وَالمفاخَرة بالشعر وَالفصاحة وَالخصال الشريفة ، وكانوا يحرِّمون فيها القتال ، واتخذوا لهم لساناً عاماً يتخاطبون به

تأثير الشعر

وَينشرونه بواسطة الشعر الذى كان يحلُّ عندَهم محَل الصُّحُف اليومية فى زماننا هذا ؛ فغَلَبتْ لغةُ مُضَرَ عَلَى ما سواها حتى اللغةِ الحِمْيرية

بعض أسواق العرب

ومن أشهرِ هذه الأسواق سوقُ « عُكاظَ »، بين مكة وَالطائف ، وَسوقُ « ذى المَجَاز » وَسوقُ « مَجَنةَ » وَسوقُ « عَدَنٍ » وغيرها

الوحدة الدينية

أما الوَحدةُ الدينية فأتت تبَعاً للوَحدة السياسية . وحَدث قُبَيْلَ الإسلام فى بعضهم حركةٌ فِكْرِيةٌ تُنْكِرُ ما هُمْ عليه من الضلال وَعبادةِ الأصنام وَشُرْبِ الخمرِ : فحرَّمَ الخمرَ كثيرٌ من عُقلائهم على أنفسهم ، وتنزَّه بعضُهم عن الفجور ، وَتكلم بعضهم فى التوحيد ؛ حتى جاء الإسلامُ فأتى بالتوحيد المُطلَق

الفصل الثانى

تاريخ العرب بعد الاسلام

ظهور الإسلام

محمدٌ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم

حالة العرب قبيل الاسلام

بينما كانت العربُ تنتظرُ التخلص من تلك الشدَّة، والخروجَ من الضيق الذى هُمْ فيهِ، والهدايةَ من الضلالة المحيطة بهم، وَتترقّبُ تلك الزَّعامةَ العظيمةَ التى هم أحقُّ بها، إذ بَزَغ فيهم كوكبُ الهدايةِ المُشْرِقُ، وَزخر بينهم بحرُ التوحيد المُتدفّقُ بِمَوْلِد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، صلى الله عليهِ وسلم، من أشرَفِ القبائل نَسَباً وأعظمِها فصاحةً وَبلاغةً

آل النبى ومولده

وُلِدَ صلى الله عليهِ وَسلم من أَبَوَيْن قُرَشِيَّين، قَليلى المال، كريمى الأصل، طاهرَى الأخلاق

وكان أبوه «عبد الله» شاباً عاقلاً حَيِيّاً؛ مات وأُمُّهُ حاملٌ بهِ، وترك جارية تُدْعى «أم أيْمَنْ» وَخمسةً من الإبل

وكانت امُّهُ «آمنةُ بنتُ وَهْبٍ» من خِيرة النساء:

وَلَدتْه فى صبيحة يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول (سنة ٥٧١م)، فكفلَه جدُّهُ « عبد المطّلب » وأرضعتْه « حليمة السَّعْدِيةُ ». وماتت أمُّه وهو فى السادسة من عُمُره، ومات جدُّه وهو فى الثامنة من عمره. فقام بتربيته وكَفالتِهِ عمُّه « أبو طالِب »، فضمَّهُ اليهِ وأحسن تربيته

عمه أبو طالب

وكان أبو طالب رجلاً شريفاً تاجراً، فصحِبَهُ معهُ فى تجارة له إلى الشام، وعمره تِسْعُ سنين. ونزلوا بُصْرَى *، فأبصرَه معهُ الراهبُ « بَحيرَى » وتَوسَّمَ فيهِ الخيرَ، وبشّرَ أبا طالب بأنْ سيكونُ لغلامِهِ هذا شأنٌ عظيمٌ

نشأة النبى

وبقى فى كفالةِ عمه حتى شبّ وقوِى، وحضر مع قُرَيش حربَ « الفِجَارِ » وعمرُه ١٤ سنة، فكان يُهيِّئُ فيها النِّبالَ لأعمامِهِ. ثم أخَذَ يتعيَّش مما كانت تتعيَّش بِهِ غالِبُ قُرَيش وهو تربية الماشيةِ والتجارة، واشتهر بين قريش وهو شابّ بالأمانة، وكان يُلقَّبُ « بالأمين »

زواجه بالسيدة خديجة

فلمّا سمِعَتِ « السيدةُ خديجة » بنتُ خُوَيْلِدٍ بأمانته وصِدقه، وكانت من شريفات قريش وأولات الثرْوة فيهنّ، رغِبتْ أن يتّجِرَ لها بمالِها ويقاسِمها الربحَ. فذهب بتجارتها

* بأسفل الفرات

وعمرُه ٢٥ سنة مع عبدها « مَيْسَرَةَ » الى الشام ، فربحَتْ تجارتُها ، وبارك اللهُ فيها ، ورَجَع إلى مكة ، بعد أن شاهد « ميسرةُ » من بركتهِ وعلائم الخير فيه ما أُعْجِبَ به . وحدَّث به سيدتَه ، فعرضَتْ عليهِ أن يتزوَّجها ، وعمرُها يومئذٍ ٤٠ سنة . فقَبِلَ وخطبها له عمُّه من أهلها . فكان له منها خيرُ قرينةٍ صالحةٍ مُعينة له برأيها ومالها وجاهها . ورُزِقَ منها أولادَه : فاطمةَ ورُقيّةَ والقاسمَ والطاهرَ والطيّبَ وأمَّ كلثوم ، إلّا ابرهيمَ فمن مارية القبطية

حالة النبي قبل البعثة

وكان قبلَ النبوة يؤثرُ الخَلْوَة بنفسهِ للعبادة ، والخروج الى غار « حِراء » (جبل بقرب مكة) للتعبُّد فيه . ولما بلغت سنهُ ٤٠ سنة أرسلَه اللهُ الى الناس كافةً بشيراً ونذيراً ، ليُنذِرَ مَنْ كان حيًّا ويَحقَّ القولُ على الكافرين

الوحي

فجاءه الوَحْيُ وهو يتعبّدُ في غار حِراء ، وأُنزل عليهِ أولُ سورةٍ : وهي « اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » . فرَجعَ منزعجاً الى زوجه خَدِيجةَ ، فهدَّأت رُوعَه وثبَّتَتْهُ ، وبشَّرَتْهُ بأن ذلك أمرٌ من عندِ اللهِ . وذهبتْ الى ابنِ عمِّها « وَرَقَةَ بن نَوفلٍ » ، وكان قد تنصَّر وقرأ الكتبَ ،

فبشَّرها بمثل ما قالته للنبي . وَلقيهُ وَرَقَةُ وهو يطوف بالكعبة فبشَّرهُ . ثم فتر الوَحْيُ مدةً وجاءه بعد ذلك

ابتداء الدعوة

فدعا أهلَ بيته الى الإسلام : فأسلمتْ خديجةُ ، وَأسلم مولاه « زيدُ بنُ حارثَةَ » ، وَأسْلَمَ ابنُ عمه « عليٌّ » وهو صبيٌّ (وكان فى كَفالةِ النبيِّ ، لضيقِ أصابَ أبا طالب لكثرة عياله) . ثم أسلم صديقُهُ الحميمُ « أبو بكر » وكان رجلاً سهلاً

اسلام أبى بكر

حسَنَ المُجالسة جعل يدعو مَنْ يثقُ به سراً إلى الإسلام : فأسلم على يده « عثمانُ بنُ عفانَ » و « الزُّبيرُ بنُ العوَّام » و « عَبدُ الرحمن بن عَوْف » و « سعدُ بن أبى وَقاصٍ » و « طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ الله » رضوان الله عليهم . فكان هؤلاءِ هم المُسْلِمين السابقين ، وبهم انتشر الإسلام

اسلام عمر وحمزة

ثم صار رسول الله يدعو الناسَ سِرًّا الى الإسلام ، حتى صاروا نحوَ أربعين رجلاً ، يجتمعون فى دار « الأرقَم بن أبى الأرقم » (وهى باقية الى الآنَ) . فانضم اليهم « عمرُ بن الخطّاب » بعدَ إنكاره الشديد على الإسلام ، وكذلك أسلم « حمزةُ » عمُّ النبي ، وبهما اعتزَّ الإسلامُ

وبقِيَ يدعو الناسَ نحوَ ثلاثِ سنين ، حتى نزل عليهِ : « وَأنذرْ عَشِيرَتَكَ الأقربين » ، فدعا أعمامَه وَذوى قرابته

اضطهاد قريش للنبي

الى وليمةٍ أعدَّها لهم ، وخطَبهم فى الدعوة الى الإسلام ، فسخِروا منهُ . ثم دعاهم مرةً أخرى ، فقابلوه بشرٍّ من الأولى ، ثم جاهروه بالعداوَة ، وَتبعَهم بقيةُ سُفهَاءِ قريش . ولكنهُ كان فى حماية عمّه أبى طالب وَقرابة زوجه خديجة ، وقريشٌ تزيد فى عِنادِها وَكفرِها ، وتقاطعُهُ وتقاطعُ أنصارَه ، لعدَّة أسباب :

اسباب ذلك

منها خوفُهم على دينهم أن يتغيرَ ، فتعاديهم العربُ وتخرُجَ الرياسةُ الدينيةُ عنهم

ومنهم أن تبورَ تجارتُهم ، وتنصرفَ العربُ عنهم

ومنها الحسدُ لرسول الله ، لأنهم رأَوْا أنهم إن صدّقوه استأثرَ عليهم بالسيادة ، وصاروا له تبَعاً . ولذلك كان أشدَّ الناس كرهاً له ومقاومةً لدعواهُ هم أشرافُ قريش وأغنياؤُها .

صبر النبي

وَلما اشتد الأمرُ على أصحابه أمرَ مَنْ ليس له أنصارٌ منهم بالهجرةِ الى أرض الحبشة ، ليعيشوا آمنين فى ظلّ النجاشىّ . واستمر هو فى دعوته ، حتى مات عمُّه «أبوطالب» وزوجهُ « خديجة » فى شهر واحد . فكان ذلك من أشدّ المصائب لديْه ، وبموتهما قلّ ناصرهُ ، وآذاهُ سُفهاءُ قريشٍ ، وَعفَروُه بالتراب وَالنجاسةِ ، ورموْه بالحجارةِ ، فبقىَ صابراً على أذاهم .

إسلام أهل المدينة

وكان يَعرِضُ نفسَهُ على قبائل العرب فى مَوْسم الحج ، فاستجابَ له منهم سِتةُ نَفرٍ من أهل « المدينـة » فأسلموا ورجَعوا إلى قومهم ، وعَرَضوا عليهم الإسلامَ ، فأسلم منهم جمعٌ عظيمٌ . وجاء فى الموسِم القادِم ١٢ رجلاً بايعوه على الإسلامَ . وبعثَ معهم « مُصْعَبَ بن عُمَيْر » يَؤُمُّهم ويُعلِّمُهم الإسلامَ . فأسلم اكثرُ أهل المدينة ، حتى لم يبقَ بيتٌ لم يكن فيه مُسْلِمٌ . ثم جاء فى الموسِم الثالث منهم ٧٣ رجلاً وامرأتان . بايعوه على حَرْب العرب والعَجَم . وقد تمكن بهم أمرُ النبىّ ، فأمَرَ أصحابه بالهجرة الى المدينة فهاجروا تِباعاً

مؤامرة قريش على قتل النبى

ولما علِمَتْ قريشٌ بذلك شقَّ عليها مُخالفةُ الأنصار للنبىّ على حرْبها ، فتآمروا بينهم على قَتْلِهِ ، وضربوا لذلك ليلةً . فأخبر اللهُ نبيَّهُ بأمرِهم ، وأمَرَه بالهِجْرة الى المدينة

الهجرة

فخرَج عام ٦٢٢ م مع صاحبِهِ « أبى بكر » ، ومكثَا فى غار بقُرب مكة حتى سكن الطلبُ عنهما . ثم جاءهما دليلهما بمَطيَّتين ، فركباهما والدليلُ رديفٌ لأبى بكر . وسلك بهما طريقاً على مَقْربة من ساحل البحر ، ثم انعطف على « المدينة » ، فدخلها رسول الله آمناً مطمئناً

وكانت هِجْرتُه اليها فاتحةَ طَوْرٍ جديد تأيَّدَ فيهِ الإسلام وعظُمَ انتشاره . وسيأتى بيان ذلك فى الجزء الثانى من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

﴿ تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى ﴾

« ومبدؤه الهجرة النبوية »

٧/١٠٠٠٠/١٠/١٩٢٥

فهرست الجزء الأول من كتاب صفوة تاريخ مصر والدول العربية

﴿ مقدمة ﴾

	صفحة
١ - التاريخ والغرض منه وأقسامه	٣
٢ - قدم تاريخ مصر	٥
٣ - مصادر تاريخ قدماء المصريين	٦
٤ - أطوار تاريخ مصر	٧

﴿ الباب الأول — تاريخ قدماء المصريين ﴾

مقدمة	٩
الفصل الأول - الدولة القديمة	١٢
الأسرة الرابعة	١٥
الفصل الثانى - الدولة الوسطى	٢١
الأسرة الثانية عشرة	٢٢
العالقة أو الهكسوس	٢٦
الفصل الثالث - الدولة الحديثة	٢٨
الأسرة الثامنة عشرة	٢٨
الأسرة التاسعة عشرة	٣٥
ابتداء اضمحلال مصر	٤٠
إغارة الإتيوبيين والأشوريين	٤٣
النهضة المصرية الأخيرة	٤٦
غارة الفرس على مصر	٤٩
الفصل الرابع - كلمة فى الحضارة المصرية القديمة	٥٢

﴿ الباب الثانى — فى قصص بعض الأنبياء ﴾

وأخبار بنى اسراءيل

الفصل الأول - سيرة ابرهيم عليه السلام ٥٩
الفصل الثانى - قصة يوسف عليه السلام ٦٤
الفصل الثالث - قصة موسى عليه السلام ٧٠

﴿ الباب الثالث — عهد الإغريق والرومان ﴾

الفصل الأول - الإسكندر الأكبر وفتحه لمصر ٧٥
الفصل الثانى - البطالسة ٧٩
الفصل الثالث - مصر فى عهد الرومان ٨٦

﴿ الباب الرابع — تاريخ الأمة العربية ﴾

الفصل الأول - أخبار العرب زمن الجاهلية ٩٢
(١) وطنهم القديم وحياتهم فى الجاهلية ٩٢
(٢) صفات العرب الخلقية والأدبية وعلومهم وفنونهم ٩٥
(٣) طبقات العرب وممالكها وقبائلها ٩٨
(٤) أيام العرب وحروبها ١٠٥
الفصل الثانى - تاريخ العرب بعد الإسلام ١٠٨
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٠٨

3828

3828

VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
MIDDLETOWN, PA.
JUNE 82
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 073527796
DT83
.x822